مكتبة مختصرات كتب الإمام ابن القيم لعامة المسلمين ٣

مختصر

حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

ابن قيم الجوزية

٦٩١-٧٥١هـ

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان بن أحمد المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود سابقًا

3 18

مختصر
حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح

ح أحمد بن عثمـان المزيد، ١٤٤٧هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهـد الوطنية أثنـاء النشر
المزيد، أحمد بن عثمـان
مختصر حـادي الأرواح إلى بـلاد الأفـراح./ أحمد بن عثمان المزيد
-ط٢. - الرياض، ١٤٤٧هـ.
٩٣ص ؛ ١٧ x ٢٤ سم.

رقـم الإيـداع : ٤٥٢٤ / ١٤٤٧
ردمك : ٩ - ٨٦٦٣ - ٠٥ -٦٠٣ - ٩٧٨

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م)



مكتبة مختصرات كتب الإمام ابن القيم لعامة المسلمين (٣)

مختصر

حادي الأرواح

إلى بلاد الأفراح

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

ابن قيم الجوزية

٦٩١-٧٥١هـ

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان بن أحمد المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود سابقًا



إهـــــداءُ

إلى الـوَالِـدِ الشَّـيْخِ

عُثْمَـانَ بْنِ أَحْمَدَ المَزْيَد رَحِمَهُ اللهُ وأَسْكَنَـهُ الفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّـةِ.

وإِلَى الـوَالِـدَةِ حِـصَّـةَ بِنْتِ حَمَـدٍ المَـزْيَـد حَفِظَهَا اللهُ،

وإِلَى زَوْجَتِي وذُرِّيَّتِي أَسْعَدَهُمُ اللهُ جَمِيعًا فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المختصر

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبينَا محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ، ومن اقتفىٰ أثرَهُ، وعَمِلَ بهدْيِهِ، واستنَّ بسنَّتِهِ، أما بعدُ:

فإنَّ في وصفِ نعيمِ الجنَّةِ إثارةً للعزائمِ، وبَعْثًا للهممِ، وتشويقًا للراغبين، ودعوةً للتمسُّك بطريقِها من توحيدٍ للهِ تعالىٰ، واتباعٍ لرسولِه ﷺ، وأداءٍ للفرائضِ، واجتنابٍ للمحرَّماتِ، وفيه تسليةٌ للصابرين علىٰ ما أصابهم من ضرٍّ أو بلاءٍ أو محنةٍ، وإنَّ من أفضل الكتبِ التي أَفردت هذا الموضوعَ بالتأليفِ والتفصيلِ - حتىٰ كأنَّك ترىٰ الجنَّةَ رأيَ عينٍ - كتابَ «حَادِي الأَرْوَاحِ إلىٰ بِلادِ الأفْرَاحِ» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لقد جمع هذا الكتابُ ما تفرَّق من وصفِ الجنةِ ونعيمِها، فافتتحه بمقدمةٍ أوضحَ فيها الغايةَ التي من أجلِها خُلِقَ الخلقُ، وانقسامَ الناسِ عليها، ثم أبانَ عن أقسامِ كتابِه؛ فجاءَ في (سبعين) بابًا، ابتدأه بذكرِ الأدلَّةِ علىٰ وجودِ الجنَّةِ الآنَ، ثم تابعَ بعدُ في وصفِ الجنَّةِ؛ فذكرَ أبوابَها، وما يتعلقُ بها، ثم أردفَ بذكرِ مكانِها ودرجاتِها وأسمائِها، وصفاتِ أهلِها وأصنافِهم.

ثم أفاضَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفةِ الجنَّةِ، وصفةِ أهلِها خَلْقًا وخُلُقًا، ونعيمِهم فيها؛ طعامِهم وشرابِهم، ولباسِهم، وحُلِيِّهم، وهكذا، ورؤيةِ المؤمنين ربَّهم، واختتمه ببيانِ ما أجمعَ عليه السَّلفُ من العقائدِ.

وقد اجتهدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «في جمعِه وترتيبِه وتفصيلِه وتبويبِه» كما قال في مقدمته؛ فجاء أصلًا فريدًا، ومرجعًا مستقلًا؛ لمن أراد الوقوفَ علىٰ صفةِ الجنَّةِ ونعيمِ أهلِها.

وقد سمَّىٰ الإمامُ ابنُ القيِّمِ كتابَهُ بهذا الاسمِ «حَادِي الأَرْوَاحِ إلىٰ بِلادِ الأفْرَاحِ»

في مقدمةِ كتابِهِ، وأحالَ عليه في كثيرٍ من كتبِهِ، وذكرَهُ عنه مَنْ ترجَمَ له.

ومن حُسنِ الفألِ أنه رحمه الله فرغَ من تأليفِه عشيةَ يومِ عرفةَ عند الثلثِ الآخرِ من الليلِ سنة (٧٤٥هـ) أي: قبل وفاته بست سنين.

ولتعظيمِ الإفادةِ من هذا الكتابِ المباركِ وتقريبِه وتيسيرِه للقرَّاءِ فقد اختصرناه وسلكنا في ذلك الآتي:

١- الإبقاءُ علىٰ ألفاظِ المؤلِّفِ دون زيادةٍ أو تصرُّفٍ.

٢- الاقتصارُ علىٰ صُلبِ موضوعاتِ الكتابِ، وما يحتاجه عامة المسلمين فقط.

٣- إبرازُ فوائدِ الكتابِ، والتخريجُ المختصرِ للأحاديثِ، وشرحُ غريبِ الألفاظِ.

٤- الاعتناءُ بالإخراج الفنِّيِّ للكتابِ وتنسيقِه؛ لتسهُلَ قراءتُه ويقرُبَ مقصودُه.

٥- الاعتمادُ علىٰ أفضلِ الطبعاتِ للكتابِ، وهي طبعةُ عطاءاتِ العلمِ، بتحقيق: زَائِد بن أحمد النّشيري.

٦- طبعُ الكتابِ طبعاتٍ غيرَ ربحيَّةٍ، وجَعْلُ حقوقِه لكلِّ مسلمٍ.

واللهَ نسألُ أنْ ينفعَ بهذا المختصرِ كما نفعَ بأصلِه، وأنْ يكتبَ لنا ولمؤلفِه وقارئه الأجرَ الجزيلَ، والشكرُ لمن يشاركنا نشرَ هذا العلمِ النافعِ؛ من آباءٍ وأمهاتٍ بين أسرِهم، وأئمةٍ في مساجدِهم، ولمن يسهمُ في ترجمته لأهم اللغات العالمية، أو تحويله لمحتوىٰ صوتيٍّ ومرئيٍّ وتعليميٍّ، ونشرِه في الوسائطِ الرقميَّةِ، وقنواتِ الإعلامِ الجديدِ، وآخرُ دعوانا أنْ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

أ.د. أحمد بن عثمان بن أحمد المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود سابقًا

(Mokhtsrat100@gmail.com)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعلَ جَنَّاتِ الفِرْدَوسِ لعباده المؤمنينَ نُزُلًا، ويسَّرهم للأعمالِ الصَّالحةِ الموصلةِ إليها فلم يتَّخِذوا سواها شُغلًا، وسهَّل لهم طُرقَها فسلكوا السبيلَ الموصلة إليها ذُلُلًا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إيَّاها قبل أن يُوجدهم، وحجبها بالمكاره؛ وأخرجهم إلىٰ دار الامتحان؛ ليبلوهم أيُّهم أحسن عملًا، وجعل ميعاد دخولها يومَ القدوم عليه، وضرب مُدَّة الحياة الفانية دونه أجلًا، وأودعها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلب بَشَرٍ.

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأمينُه علىٰ وحيِهِ وخيرتُه من خَلْقِه، أَرسَلَه رحمةً للعالمينَ، بعثه للإيمان مناديًا، وإلىٰ دارِ السلام داعيًا، أرسلَه علىٰ حين فَتْرَةٍ من الرسل، فهدىٰ به إلىٰ أقوم الطُّرق، وأوضحِ السُّبلِ، وافترضَ علىٰ العباد طاعتَه ومحبَّتَه، وتعزيرَه وتوقيرَه والقيامَ بحقوقِه، وسدَّ إلىٰ الجنة جميعَ الطرق فلم يفتحْها لأحدٍ إلَّا من طريقه، فلو أتوا من كُلِّ طريقٍ، واستفتحوا من كل باب لما فُتِحَ لهم حتىٰ يَكونوا خَلْفَهُ من الدَّاخلين، وعلىٰ منهاجِه وطريقَتِه من السالكينَ.

أمَّا بعد: فإنَّ الله سبحانَه وتعالىٰ لم يَخلق خلقَه عبثًا، ولم يتركهم سُدًىٰ، بل خلقَهم لأمرٍ عظيمٍ، وخَطْبٍ جسيمٍ، عُرِضَ علىٰ السماواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ وأشفَقْنَ منه إشفاقًا ووَجَلًا، وحمَلَه الإنسانُ علىٰ ضعفِه وعجزِه عن حملِه، وناءَ به علىٰ ظُلْمِه وجَهلِه، فألقىٰ أكثرُ النَّاسِ الحِملَ عن ظهورِهم لشدَّة مؤونته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبةَ الأنعامِ السائمةِ، لا ينظرون في معرفة مُوجِدِهم وحقِّهِ عليهم، ولا في المراد من إيجادِهم وإخراجِهم إلىٰ هذه الدار التي هي طريقٌ

ومَعْبرٌ إلىٰ دارِ القرارِ، ولا يتفكّرون في قلّة مقَامِهِم في الدنيا الفانية، وسُرعةِ رحيلهم إلىٰ الآخرة الباقيةِ، فقد ملكَهم باعثُ الحسِّ، وغابَ عنهم داعي العقلِ، وشملَتْهم الغَفْلَةُ وغرَّتهم الأماني الباطلةُ، والخدعُ الكاذبة، فخدَعَهم طولُ الأملِ، ورَانَ علىٰ قلوبهم سوءُ العملِ، فهِمَمُهُم في لذَّاتِ الدنيا، وشهواتِ النفوسِ كيف حَصَلَتْ حَصَّلوها، ومن أيّ وجهٍ لاحت لهم أخذوها، إذا أَبدىٰ لهم حظٌّ من الدنيا ناجِذَيْه طاروا إليه زرافاتٍ[١] ووحدانًا، وإذا عَرَضَ لهم عاجلٌ من الدنيا لم يُؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا. ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

ولما عَلِمَ الموفَّقون ما خُلِقوا له، وما أُريدَ بإيجادهم رفعوا رؤوسَهم، فإذا عَلَمُ الجنةِ قد رُفِعَ لهم فشمَّروا إليه، ورأوا من أعظم الغَبْنِ بيعَ ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلبِ بشر في أبدٍ لا يزولُ، ولا ينفذُ بصُبابةِ عيش إنما هو كأَضْغَاثِ أحلامٍ، أو كطيفٍ زارَ في المنام، مَشُوبٍ بالنَّغَصِ، ممزوجٍ بالغُصَصِ، إنْ أضحكَ قليلًا أبكىٰ كثيرًا، وإن سَرَّ يومًا أَحْزَنَ شهورًا. آلامُهُ تزيدُ علىٰ لذَّاتِه، وأحزانُهُ أضعافُ أضعافِ مسرَّاتِه، أَوَّلُه مَخَاوفٌ وآخرُهُ مَتَالفٌ.

وهذا كتابٌ اجتهدتُ في جمعِه وترتيبِه، وتفصيلِه وتبويبِه، فهو للمَحْزُونِ سَلْوَةٌ، وللمُشتاقِ إلىٰ تلك العرائسِ جلوةٌ، محرِّكٌ للقلوب إلىٰ أجلِّ مطلوبٍ، وحادٍ للنفوسِ إلىٰ مجاورة الملك القُدُّوسِ، مُمتع لقارئه، مشوّق للناظر فيه، لا يسأَمُه الجليسُ، ولا يَملُّه الأنيسُ.

إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانًا، وجلَّىٰ عليه الجنة حتىٰ كأنه يشاهدُها عيانًا. فهو مثيرُ ساكن العزمات إلىٰ روضات الجنات، وباعثُ الهممِ العليّاتِ إلىٰ العيشِ

(١) الزَّرافات: جمع زَرافة، وهي الجماعة من الناس.

الهنيِّ في تلك الغرفاتِ، وسميته: (حَادِي الأرواحِ إلىٰ بلادِ الأفراحِ) فإنه اسم يطابق مُسمَّاه، ولفظ يوافق معناه، والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه وتأليفه أردت.

واللهُ المسؤولُ أَنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مُدنيًا لمؤلفِهِ وقارِئِه وكاتبِه من جنَّاتِ النعيمِ، وأن يجعلهُ حجَّةً له، ولا يجعله حُجَّةً عليه، وأن ينفعَ به من انتهىٰ إليه، إنه خير مسؤولٍ، وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١ - في بيان وجود الجنة الآن:

لم يزل أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ والتابعونَ وتابعوهم وأهلُ السُّنَّة والحديثِ قاطبةً، وفقهاءُ الإسلامِ وأهلُ التَّصوف والزُّهدِ علىٰ اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلىٰ نصوصِ الكتابِ والسنةِ، وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلّهم من أوّلهم إلىٰ آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها.

ولهذا يذكرُ السَّلفُ في عقائدِهم أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان.

* وقد دَلَّ علىٰ ذلك من القرآنِ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣-١٥]، وقد رأىٰ النبيُّ ﷺ سِدْرةَ المُنْتَهىٰ، ورأىٰ عندها الجنَّة كما في الصحيحين[(١)]: من حديث أنس بن مالك في قصة الإسراء، وفي آخره: «**ثُمَّ انطلقَ بي جبريلُ حتىٰ أتىٰ سدرة المنتهىٰ، فَغَشِيها ألوانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثُمَّ أدخلتُ الجنةَ فإذا فيها جَنابذُ اللؤلؤِ، وإذا تُرابها المِسكُ**».

* وفي الصحيحين[(٢)]: من حديث عبدِ الله بن عمرَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعَشِيّ، إنْ كانَ من أهلِ الجنةِ فمن أهلِ الجنَّة، وإنْ كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النارِ، فيُقال: هذا مقعدُكَ حتىٰ يبعثَكَ اللهُ يومَ القيامةِ**».

* وفي الصحيحين[(٣)]: من حديث أبي سعيد الخُدْريِّ عن النبي ﷺ قال: «**اختصمتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت الجنَّةُ: يا ربِّ ما لها إنما يدخُلها ضعفاءُ الناس وسقطهم، وقالت النَّارُ: يا ربِّ ما لها يدخلُها الجبَّارون والمتكبِّرون. فقال: أنتِ**

---

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٢٥٩).
(٢) البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).
(٣) البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

رحمتي أصيبُ بكِ مَنْ أشاءُ، وأنتِ عذابي أصيبُ بكِ من أشاءُ، ولكلّ واحدةٍ منكما ملؤها».

٢- في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم، وأهبط منها، هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض؟

قال منذرُ بن سعيدٍ في تفسيره: «وأمَّا قوله تعالىٰ لآدم: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]:

• **فقالت طائفةٌ**: أسكنَ اللهُ آدمَ جنةَ الخُلْدِ التي يدخُلُها المؤمنون يومَ القيامةِ.

• **وقال آخرون**: هي جنَّةٌ غيرُها جعلَها اللهُ له وأسكنَه إيَّاها، ليست جنَّةَ الخُلْدِ.

قال: وهذا قولٌ يَكْثُرُ الدَّلائلُ الشَّاهدةُ له، والموجِبَةُ للقولِ به».

٣- في ذكر عدد أبواب الجنة:

* قال الله تعالىٰ: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣].

* وقال في صفة النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر:٧١].

* وفي الصحيحين[١]: عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**في الجنةِ ثمانيةُ أبوابٍ، بابٌ منها يُسَمَّىٰ الرَّيانَ، لا يَدخلُه إلا الصَّائمونَ**».

* وفي الصحيحين[٢]: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أنفقَ زَوْجَيْنِ في شيءٍ من الأشياءِ في سبيل الله دُعي من أبوابِ الجنَّةِ: يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فَمَنْ كان من أهل الصلاةِ دُعِي من باب الصلاة، ومَنْ كانَ من أهل الجهاد**

(١) البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم (١١٥٢).
(٢) البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

دُعِي من باب الجهادِ، ومَنْ كانَ من أهلِ الصَّدقةِ دُعِي من بابِ الصَّدقةِ، ومن كان من أهل الصيامِ دُعِي من بابِ الرَّيَّان». فقال أبو بكر: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ، ما علىٰ من دُعي من تلكَ الأبوابِ من ضرورةٍ، فهل يُدْعَىٰ أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ فقال: «**نعم، وأرجُو أنْ تكونَ منهم**».

* وفي صحيح مسلم[(١)] عن عمرَ بن الخطابِ عن النبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحدٍ يَتوضَّأ فَيُبلِغُ - أو فَيُسْبِغُ - الوضوءَ ثم يقولُ: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ إلَّا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ، يدخلُ من أيِّها شاء**».

٤ - في ذكر سعة أبوابها:

• عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وُضعَتْ بين يدي رسول الله ﷺ قَصْعةٌ من ثَريدٍ ولحمٍ، فتناولَ الذِّراعَ - وكان أحبَّ الشاةِ إليه - فنهسَ نَهْسَة[(٢)] وقال: «**أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ**» ثم نهسَ أخرىٰ وقال: «**أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ**» فلما رأىٰ أصحابَه لا يسألونَهُ، قال: «**ألا تقولونَ كيفَ؟**»، قالوا: كيفَ يا رسولَ الله؟ قال: «**يقومُ الناسُ لربِّ العالمين فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعي، ويَنْفُذُهُم البصرُ**» فذكر حديث الشفاعةِ بطوله، وقال في آخره: «**فأنطلقُ فآتي تحتَ العرشِ فأقعُ ساجدًا لربي، فيُقيمني ربُّ العالمين، مقامًا لم يُقِمْهُ أحدًا قبلي ولن يُقيمَهُ أحدًا بعدي، فأقول: يا ربِّ أمتي، فيقول: يا محمد أَدْخِلْ من أمتكَ مَنْ لا حسابَ عليهم من البابِ الأيمنِ، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوىٰ ذلك من الأبوابِ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه إنَّ ما بينَ المصراعينِ من مصاريعِ الجنةِ لكما بين مكةَ وهَجَرَ، أو هَجَرَ ومكةَ**»، وفي لفظ:

---

(١) مسلم (٢٣٤).
(٢) نهس بالسين، معناه: أخذه بمقدم أسنانه، ونهش بالشين: أخذه بأسنانه وأضراسه جميعًا.

«لكما بين مكةَ وهَجَرَ، أو كما بين مكةَ وبصرىٰ[١]» متفق علىٰ صحته[٢].

• وعن حكيم بن معاوية عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«أنتم تُوَفُّون سبعينَ أمةً أنتم أخيرُها وأكرمُها علىٰ اللهِ، وما بينَ مصراعينِ من مصاريعِ الجنة مسيرةُ أربعينَ عامًا، وليأتينَّ عليه يومٌ وإنه لكَظِيظٌ»**[٣].

٥- في صفة أبوابها وأنها ذات حلق:

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ **«فآخذ بحلقة باب الجنة فأُقعقعُها»**[٤]، وهذا صريح في أنها حَلْقة حسيّة تُقَعْقَعُ وتُحَرَّك.

ولمَّا كانت الجِنَانُ درجاتٍ بعضِها فوقَ بعضٍ، كانت أبوابُها كذلك، وبابُ الجنَّةِ العاليةِ فوقَ بابِ الجنَّةِ التي تحتَها، وكلَّما عَلَتِ الجنَّةُ اتَّسعتْ، فعاليها أوسعُ ممَّا دونه، وسَعَةُ البابِ بحسبِ وُسْعِ الجنَّةِ، ولعلَّ هذا وجهُ الاختلافِ الَّذي جاءَ في مسافةِ ما بين مِصْراعي البابِ، فإنَّ أبوابَها بعضَها أعلىٰ من بعضٍ.

٦- في مكان الجنة وأين هي؟

* قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣-١٥]. وقد ثبت أنَّ سِدرةَ المُنتهىٰ فوقَ السَّماءِ، وسُمِّيَت بذلك؛ لأنَّهُ ينتهي إليها ما ينزلُ من عندِ اللهِ فيُقْبَضُ منها، وما يَصْعَدُ إليه فيقبضُ منها.

* وقد ثبت في «الصحيحين»[٥] عنه ﷺ أنَّه قال: **«إنَّ الجنَّةَ مئةُ درجةٍ ما بين**

---

(١) هَجَر: هي منطقة الأَحساء اليوم شرق المملكة العربية السعودية. بُصْرَىٰ: كانت مدينة حوران، وهي اليوم آثارٌ قرب مدينة "دَرْعة" داخل حدود سورية. انظر: المعالم الأثيرة، محمد شُرَّاب (ص: ٢٩٣)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي (ص: ٤٠).

(٢) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) أحمد (٩/ ٤٦١٩).

(٤) الترمذي (٣١٤٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) البخاري (٢٧٩٠)، ومسلم (١٨٨٤).

كـلِّ درجتـين كمـا بـين السَّـمَاءِ والأرْضِ»، وهـذا يـدلُّ علـىٰ أنَّهـا في غايـةِ العلـوِّ والارتفاعِ، واللهُ أعلم.

٧- في مفتاح الجنة:

عن معاذِ بن جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**مِفتاحُ الجنةِ شهادةُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا الله**» رواه الإمام أحمد في مسنده ولفظه: «**مِفَاتيحُ الجنةِ شهادةُ أَنْ لا إله إِلَّا الله**»[١].

وقد جعلَ اللهُ سبحانه لكلِّ مطلوبٍ مفتاحًا يُفتحُ به:

- فجعل مفتاحَ الصَّلاةِ الطَّهورَ كما قال ﷺ: «**مِفتاحُ الصَّلاةِ الطُّهورُ**»[٢].
- ومِفتاح الحجِ الإحرام.
- ومفتاح البرّ الصدق.
- ومفتاح الجنة التوحيد.
- ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء.
- ومفتاح النصر والظفر الصبر.
- ومفتاح المزيد الشكر.
- ومفتاح الولاية المحبة والذكر.
- ومفتاح الفَلاح التقوىٰ.
- ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة.

---

(١) أحمد (١٠/ ٥١٨٩).

(٢) أبو داود (٦١)، والترمذي (٣)، وقال الترمذي: هذا الحديث أصحّ شيءٍ في هذا الباب وأحسن.

- ومفتاح الإجابة الدعاء.
- ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا.
- ومفتاح الإيمان التفكّر فيما دعا الله عباده إلىٰ التفكر فيه.
- ومفتاح الدخول علىٰ الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك.
- ومفتاح حياة القلب تدبُّر القرآن والتضرُّع بالأسحار وترك الذنوب.
- ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده.
- ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوىٰ.
- ومفتاح العِزِّ طاعة الله ورسوله.
- ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل.
- ومفتاح كل خير الرغبةُ في الله والدار الآخرة.
- ومفتاح كل شرّ حبُّ الدنيا وطولُ الأمل.

وهذا بابٌ عظيمٌ من أنفعِ أبوابِ العلمِ، وهو معرفة مفاتيح الخير والشر، لا يُوفَّق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظُّه وتوفيقه، فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ جعل لكلِّ خيرٍ وشَرٍّ مفتاحًا وبابًا يُدخل منه إليه، كما جعل الشركَ والكبرَ والإعراضَ عمَّا بعثَ الله به رسولَه، والغفلةَ عن ذكرِه والقيامَ بحقّه مفتاحًا للنار، وكما جَعَلَ الخمرَ مفتاحَ كُلِّ إثم، وجعل الغنىٰ مفتاح الزنىٰ، وجعل إطلاق النظر في الصُّور مفتاحَ الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب مفتاح النفاق، وجعل الشُّحَّ والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حلِّه، وجعل الإعراضَ عما جاء

به الرسول مفتاح كلِّ بدعة وضلالة.

وهذه الأمور لا يصدق بها إلَّا كُلّ من له بصيرة صحيحة، وعقل يَعْرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر، فينبغي للعبد أن يعتنيَ كُلَّ الاعتناء بمعرفة المفاتيح، وما جعلت المفاتيح له، والله من وراء توفيقه وعدله، له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يسألون.

٨- في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها:

* قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:١٨-٢١]، فأخبر تعالىٰ أنَّ كتابَهم كتابٌ مرقومٌ؛ تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابةً حقيقيةً، وخصّ تعالىٰ كتابَ الأبرار بأنه يُكتب ويُوقَّع لهم به بمشهد المقرَّبينَ من الملائكةِ والنبيينَ وساداتِ المؤمنينَ، ولم يذكر شهادةَ هؤلاءِ لكتابِ الفجّارِ؛ تنويهًا بكتاب الأبرارِ وما وُقِّع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواصّ خَلْقِهِ، كما يكتب الملوك تواقيع من تُعظِّمه بين الأمراء وخواصّ أهل المملكة؛ تنويهًا باسم المكتوب له وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاةِ اللهِ سبحانَه وملائكتِه علىٰ عبدِه.

* **عن البراءِ بن عازبٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال**: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ جنازةٍ، فجلس رسولُ الله ﷺ علىٰ القبرِ وجلسنا حوله كأنَّ علىٰ رؤوسِنا الطيرَ وهو يُلْحَدُ له، فقال: «**أعوذُ باللهِ من عذابِ القبرِ**» ثلاثَ مراتٍ. ثم قال: «**إنَّ المؤمنَ إذا كان في إقبالٍ من الآخرةِ وانقطاعٍ من الدنيا، تَنَزَّلَتْ إليه الملائكةُ كأنَّ علىٰ وجوهِهم الشَّمسَ، مع كلِّ واحدٍ منهم كفنٌ وحنوطٌ، فجلسوا منه مدَّ بصرِه، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتَّىٰ يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفسُ الطيبةُ اخرجي إلىٰ مغفرةٍ من اللهِ ورضوانٍ قال: فتخرجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فِيِّ السّقاءِ، فيأخذُها، فإذا أخذها**

لـم يَـدَعوها في يـدِهِ طرفَـةَ عـينٍ حتـىٰ يأخُـذُوها؛ فيجعلُوهـا في ذلـك الكفـنِ وذلـكَ الحنوطِ، ويخرجُ منها كأطيب نفحةِ مسكٍ وُجِدَتْ علىٰ وجهِ الأرضِ.

قال: فيصعدونَ بها فلا يمرُّون بها ـ يعني علىٰ ملأ من الملائكـةِ ـ إلا قـالوا: مـا هذا الروحُ الطيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلانٍ بأحسنِ أسمائِه التي كانوا يسمُّونَهُ بها في الدنيا، حتىٰ ينتهُوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحونَ له فيفتحُ لهم، ويشيعُه من كُـلِّ سماءٍ مقرَّبُوها إلىٰ السـماء التـي تليهـا، حتـىٰ يُنتهـىٰ بهـا إلىٰ السـماءِ التـي فيهـا الله عَزَّوَجَلَّ، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابَ عبدي في عِلِّيينَ، وأعيدوه إلـىٰ الأرض، فـإني منها خلقتُهُم، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرجُهم تارةً أخرىٰ.

قال: فتُعاد روحُه في جسـده، فيأتيـه ملكـان فيجلسـانه فيقـولانِ لـهُ: مَـنْ ربُّـكَ؟ فيقولُ: ربّي الله، فيقولانِ له: ما دينُكَ؟ فيقولُ: دينـيَ الإسـلامُ، فيقـولانِ لـه: مـا هـذا الرجـلُ الـذي بُعـثَ فـيكم؟ فيقـول: هـو رسـولُ اللهِ ﷺ فيقـولانِ لـه: ومـا علمُـك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنتُ به وصدَّقتُ.

قال: فينادي منادٍ من السماءِ: أن صدقَ عبـدي، فأفرشُـوهُ مـن الجنـةِ، وألبسـوهُ من الجنةِ، وافتحُوا له بابًا إلىٰ الجنة.

قال: فيأتيه من روحِها وطيبِها، ويُفسحُ له في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ.

قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ حسنُ الثيابِ طَيِّبُ الريحِ، فيقولُ: أبشـرْ بالـذي يَسرُّكَ، هذا يومُك الذي كنـت تُوعـد، فيقـولُ لـه: مَـنْ أنـتَ؟ فوجهـك الوجـه الـذي يجيءُ بالخيرِ؟ فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ، فيقولُ: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة حتىٰ أرجعَ إلىٰ أهلي ومالي.

قال: وإن العبدَ الكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرةِ، نزلَ إليـه من السماءِ ملائكةٌ سودُ الوجوه، معهم المسوحُ، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء

ملكُ الموتِ حتىٰ يجلسَ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرجي إلىٰ سخطٍ من الله وغضبٍ.

قال: فتفرّقُ في جسدِهِ فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفودُ من الصُّوفِ المبلولِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ حتىٰ يجعلُوها في تلك المسوح، ويخرجُ منها كأنتن ريحِ جيفةٍ وُجدت علىٰ وجهِ الأرضِ، فيصعدونَ بها، فلا يمرونَ بها علىٰ ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانُ ابنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائه التي كان يُسمَّىٰ بها في الدنيا حتىٰ يُنتهىٰ إلىٰ سماء الدنيا فيُستفتحُ فلا يفتحُ لهُ»، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

«فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابَ عبدي في سِجِّينٍ في الأرضِ السفلىٰ، وتُطرح روحُهُ طرحًا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١] فتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، ويأتيهِ ملكانِ فيجلسانِهِ فيقولانِ له: مَنْ ربُّكَ؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولانِ لَهُ: ما هذا الرجل الذي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فينادي منادٍ من السماءِ: أن كذبَ عبدي فأفرشُوه من النارِ، وافتحُوا له بابًا إلىٰ النار، فيأتيه من حَرِّهَا وسَمومِهَا، ويضيقُ عليه قبرُهُ حتىٰ تختلفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثياب منتنُ الريحِ، فيقولُ له: أبشرْ بالذي يسوؤُكَ، هذا يومك الذي كنتَ تُوعَدُ، فيقولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهُكَ الوجهُ الذي يجيءُ بالشرِّ؟ فيقول: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة»(١).

---

(١) أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٨/ ٤٢٢٢).

٩- في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد:

هذا مِمَّا اتَّفقت عليه الرسلُ من أوَّلهم إلىٰ خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم.

وأمَّا طرقُ الجحيمِ: فأكثرُ من أن تُحصىٰ، ولهذا يُوحِّد سبحانه سبيله ويجمع سُبُل النار، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾[النحل:٩] أي: ومن السبيل جائرٌ عن القصدِ وهي سبيلُ الغيّ، وقال: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ [الحجر:٤١].

• **وقال ابن مسعود**: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا وقال: «**هذا سبيل الله**» ثم خطَّ خطوطًا عن يمينِه وعن يسارِهِ ثم قال: «**هذه سُبُلٌ، علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية[(١)].

فإن قيل: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

قيل: هي سُبل تُجمع في سبيلٍ واحد، وهي بمنزلة الجوادِّ والطرقِ في الطريقِ الأعظمِ، فهذه هي شُعبُ الإيمانِ يجمعُها الإيمانُ، وهو شعبةٌ كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابةُ داعي اللهِ بتصديقِ خبرِهِ وطاعةِ أمرِهِ، فطريقُ الجنةِ هي إجابةُ الداعي إليها ليس إلَّا.

• روىٰ البخاري في صحيحه[(٢)] عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «**جاءت ملائكةٌ إلىٰ النبي ﷺ فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان،**

(١) ابن ماجه (١١)، والدارمي (١/ ٦٧-٦٨)، وابن حبان (١٧٤١).
(٢) البخاري (٧٢٨١).

فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا، فقالوا: مثله مثل رجل بني دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الدّاعيَ دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يُجب الداعي لم يدخلِ الدَّارَ، ولم يأكلْ من المأدبة، فقالوا: أوّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظانُ، فالدارُ: الجنة، والداعي: محمدٌ، فمنْ أطاعَ محمدًا فقد أطاعَ الله، ومَنْ عصىٰ محمدًا فقد عصىٰ الله، ومحمد فرق بينَ الناسِ».

١٠- في درجات الجنة:

* قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولًا بدرجةٍ، ثم أوقعه ثانيًا بدرجاتٍ، فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني: بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

* وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤].

* وفي الصحيحين[(١)] عن أبي سعيد الخُدْريِّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ أهلَ الجنةِ لَيَتراءَوْنَ أهلَ الغرفِ من فوقِهِم كما يَتراءونَ الكوكبَ الدُّريَّ الغابرَ مِنَ الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ، لِتَفَاضُلِ ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله، تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم؟ قال: «**بلىٰ، والذي نفسي بيدِهِ رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقُوا المرسلين**»، ولفظُ البخاري: «**في الأفق**» وهو أبين، والغابر: هو الذَّاهبُ الماضي الذي قد تدلّىٰ للغروب، وفي التمثيل به ـ دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلىٰ ـ فائدتان:

○ **إحداهما**: بُعْدُه عن العيونِ.

○ **والثانية**: أنَّ الجنَّة درجاتٌ، بعضها أعلىٰ من بعض، وإن لم تسامت العليا السفلىٰ، كالبساتين الممتدَّة من رأس الجبل إلىٰ ذيله، والله أعلم.

* وفي الصحيحين[(٢)] أيضًا من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهلَ الجنةِ لَيَتراءَوْنَ أهلَ الغرفةِ في الجنةِ كما تراءونَ الكوكبَ في أُفُقِ السماءِ**».

* وفي المسند[(٣)] عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**يُقال لصاحبِ القرآنِ إذا دخلَ الجنةَ: اقرأْ واصعدْ، فيقرأُ ويصعدُ بكلِّ آيةٍ درجةً، حتىٰ يقرأَ آخرَ شيءٍ معهُ**». وهذا صريح في أنَّ درج الجنة تزيد علىٰ مائة درجة.

١١ - في ذكر أعلى درجاتها، واسم تلك الدرجة:

● روىٰ مسلم في صحيحه[(٤)] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

(١) البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١).
(٢) البخاري (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٨٣٠).
(٣) أحمد (٥/ ٢٣٧٦).
(٤) مسلم (٣٨٤).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتُمُ المؤذِّنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه من صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ الله عليه بها عشْرًا، ثم سَلُوا اللهَ لي الوسيلةَ، فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنبغي إلا لعبدٍ من عبادِ اللهِ، وأرجُو أن أكونَ أنا هو، فمنْ سألَ لي الوسيلةَ حَلَّتْ عليه الشفاعة**».

• وفي الصحيحين(١) من حديث جابر **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حينَ يسمعُ النّداءَ: اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْهُ مقامًا محمودًا الذي وعدتْهُ، حلَّتْ له شفاعتي يومَ القيامة**».

ولما كان رسولُ اللهِ ﷺ أعظم الخلق عبوديةً لربه، وأعلمهم به، وأشدّهم له خشيةً، وأعظمهم له محبةً، كانت منزلته أقربَ المنازلِ إلىٰ اللهِ، وهي أعلىٰ درجة في الجنة، وأمر ﷺ أمَّتَهُ أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزُّلفىٰ من الله وزيادة الإيمان، وأيضًا فإن الله سبحانه قدَّرها له بأسباب منها: دعاء أمته له بها بما نالوه علىٰ يده من الإيمان والهدىٰ، صلوات الله وسلامه عليه.

١٢- في عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده، وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم:

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، فجعلَ سبحانه الجنَّة ثمنًا لنفوسِ المؤمنينَ وأموالهم، بحيثُ إذا بذلُوها فيه استحقُّوا الثمنَ، وعقدَ معهم هذا العقدَ.

---

(١) البخاري (٦١٤)، والذي في مسلم الحديث السابق (٣٨٤).

* وفي جامع الترمذي[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ خافَ أَدْلَجَ، ومن أدلجَ بلغ المنزلَ، أَلَا إنَّ سِلْعَةَ الله غاليةٌ، أَلَا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجنةُ**».

* وفي الصحيحين[٢] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أتاني آتٍ منْ ربي فأخبرني** ـ أو قال: **فبشرني** ـ **أنه منْ ماتَ من أمتكَ لا يشرك باللهِ شيئًا دخلَ الجنةَ**»، قلت: وإنْ زنَىٰ وإن سرقَ؟ قال: «**وإنْ زنىٰ وإنْ سرقَ**».

* وفي الصحيحين[٣] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**منْ قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وأنَّ عيسىٰ عبدُ اللهِ ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريمَ وروحٌ منه، وأنَّ الجنةَ حقٌّ وأنَّ النَّارَ حقٌّ؛ أدخله اللهُ من أيِّ أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاءَ**».

وهاهنا أمرٌ يجب التنبيه عليه: وهو أنَّ الجنة إنما تُدْخَلُ برحمة الله وليس عملُ العبدِ مستقلاً بدخولها، وإن كان سببًا، ولهذا أثبت اللهُ دخولها بالأعمال في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨] ونفىٰ رسولُ الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: «**لنْ يدخُلَ أَحَدٌ منكم الجنَّة بعمله**» ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

○ **أحدهما**: ما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون النجاةُ من النارِ بعفوِ اللهِ، ودخولُ الجنةِ برحمتِه، واقتسامُ المنازلِ والدرجاتِ بالأعمالِ، ويدلُّ علىٰ هذا حديثُ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سيأتي إن شاء الله: «**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم**» رواه الترمذي[٤].

(١) الترمذي (٢٤٦٠).
(٢) البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤).
(٣) البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٤) الترمذي (٢٥٤٩).

○ **والثاني**: أنَّ الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة، التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببيَّة ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله.

وقد جمع النبيُّ ﷺ بين الأمرين في قوله: «**سَدِّدُوا، وقاربُوا، وأبشرُوا، واعْلَمُوا أنَّ أحدًا منكم لنْ ينجوَ بعمله**»، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أنْ يتغمَّدَني اللهُ برحمتِه**»[1].

ومن عرفَ الله سبحانه وشهدَ مشهد حقّه عليه، ومشهدَ تقصيره وذنوبه، وأبصرَ هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به، واللهُ المستعانُ.

١٣ - في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عَزَّوَجَلَّ:

• قال تعالىٰ حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران:١٩٣-١٩٤]. **والمعنىٰ**: وآتنا ما وعدتنا علىٰ ألسنةِ رُسُلِكَ من دخولِ الجنةِ.

وتأمل كيف تضمَّنَ إيمانُهم به الإيمانَ بأمرِه ونهيِه ورسلِه ووعدِه ووعيدِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وصدْقِ وعدِهِ والخوفِ من وعيدِه واستجابتِهم لأمرِه، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالىٰ، فبذلك صحَّ لهم التوسُّل إلىٰ سؤالِ ما وعدَهم به والنجاة من عذابه.

• **وأحبُّ خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالًا**، وهو يحبُّ الملحِّين في الدُّعاء، وكلما ألحَّ العبدُ عليه في السؤال أحبَّه وقرَّبه وأعطاه؛ وفي الحديث: «**من لم**

---

(١) البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

يسألِ الله يَغْضَبْ عليهِ»[١] فلا إله إلا هو، أيّ جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمانِ، وحالت بين القلوبِ وبين معرفةِ ربِّها وأسمائِه وصفاتِ كمالِه ونعوتِ جلالِه؟! و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

• وقد روى أبوداود في سننه[٢] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبيَّ ﷺ قال للفتى ـ يعني الذي شكاه ـ: «**كيفَ تصنعُ يا ابن أخي إذا صليتَ؟**» قال: أقرأ بفاتحةِ الكتابِ، وأسألُ اللهَ الجنةَ وأعوذُ به من النارِ، وإني لا أدري ما دَنْدَنَتُكَ ودندنَةُ معاذٍ. فقال النبي ﷺ: «**إني ومعاذًا حولها نُدَنْدِنُ**».

١٤- في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها:

* **الاسم الأول: الجنة**، وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواعِ النعيمِ واللَّذةِ والبهجةِ والسرورِ وقُرَّةِ الأعينِ.

* **الاسم الثاني: دار السلام**، وقد سمَّاها الله بهذا الاسم في قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، وهي أحقُّ بهذا الاسم، فإنها دارُ السلامةِ من كُلِّ بليّةٍ وآفةٍ ومكروهٍ، وهي دارُ الله، واسمه سبحانه السلام الذي سلّمها وسلَّم أهلها ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم:٢٣]، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣-٢٤] والربُّ سبحانه يُسلم عليهم من فوقهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٧-٥٨].

* **الاسم الثالث: دار الخلد**، وسُمِّيت بذلك لأنَّ أهلَها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾

(١) الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧). وقال الترمذي: حديث حسن.
(٢) أبو داود (١٦٧٢).

[ص:٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥] وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

* **الاسم الرابع: دار المقامة**، قال تعالىٰ حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٤-٣٥].

* **الاسم الخامس: جنَّة المأوىٰ**، قال تعالىٰ: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩]، وقال: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [العنكبوت:٢٥].

* **الاسم السادس: جنات عدن**، فقيل: هو اسم جنّةٍ من جملةِ الجنانِ، والصحيح أنه اسم لجملة الجنات، فكلها جنّات عَدْن، قال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم:٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:٧٢].

* **الاسم السابع: دار الحيوان**، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤] والمرادُ الجنة عند أهل التفسير.

* **الاسم الثَّامنُ: الفردوس**، قال الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف:١٠٧]، والفردوس: اسم يُقال علىٰ جميع الجنة، ويُقال علىٰ أفضلها وأعلاها، كأنه أحقّ بهذا الاسم من غيره من الجنات.

قال حسان:

وإنَّ ثـــوابَ اللهِ كُـــلّ مخلـــد ** جِنَـانٌ مـن الفـردوس فيهـا يُخَلَّـدُ

* **الاســم التاســع: جنـــات النعـــيم**، قـــال تعـــالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان:٨]، وهـذا أيضًا اسمٌ جامعٌ لجميعِ الجنّاتِ لما تضـمَّنته من الأنـواعِ التي يتنعَّم بها من المـأكولِ والمشروبِ والملبوسِ والصُّورِ والرائحةِ الطيِّبةِ والمنظرِ البهيجِ والمساكنِ الواسعةِ، وغير ذلك من النعيم الظاهرِ والباطنِ.

* **الاسـم العاشـر: المقـام الأمـين**، قـال تعـالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١﴾ [الدخان:٥١]، والمقام: موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوءٍ ومكروهٍ، وهو الذي قد جمعَ صفاتِ الأمنِ كلِّها، فهو آمن من الزوالِ والخرابِ وأنواعِ النَّغصِ، وأهله آمنون فيه من الخروجِ والنغصِ والنكدِ، والبلدُ الأمين: الذي قد أَمِنَ أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١﴾ [الدخان:٥١]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥] فجمع لهم بين أمنِ المكانِ وأمنِ الطعامِ، فلا يخافون انقطاعَ الفاكهةِ ولا سوءَ عاقبتِها ومضرَّتها، وأمنِ الخروجِ منها، فلا يخافون ذلك، وأمنِ الموتِ فلا يخافون فيها موتًا.

* **الاسم الحادي عشر والثاني عشر: مقعد الصدق وقدم الصدق**، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] فسمَّىٰ جنته مقعدَ صدقٍ؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها.

ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا علىٰ الله، وهو دخوله وخروجه بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد، فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجًا من أمر، فمتىٰ كان دخولُه بالله ولله وخروجه كذلك، كان قد أُدخل مدخل صدق وأُخرج مخرج صدق.

١٥- في عدد الجنات وأنها نوعان: جنتان من ذهب، وجنتان من فضة:

• **الجنة**: اسم شامل لجميع ما حوته من البساتينِ والمساكنِ والقصورِ، وهي جنّات كثيرة جدًّا، كما روىٰ البخاري في صحيحه[(١)] عن أنس بن مالك أنَّ أمَّ الربيعِ بنت البراءِ وهي أم حارثة بن سُراقة أتتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: يا نبيَّ الله ألا تُحدِّثني عنْ حارثةَ؟ ـ وكان قُتِلَ يومَ بدر أصابَه سهمُ غَرْبٍ ـ فإن كان في الجنة صَبَرتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهدتُ عليه في البكاءِ، قال: «**يا أمَّ حارثةَ، إنها جِنانٌ في الجنةِ، وإن ابنَكِ أصابَ الفردوسَ الأعلىٰ**».

• وفي الصحيحين[(٢)] من حديث أبي موسىٰ الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «**جنَّتان من ذهبٍ آنيتُهما وحليتُهما وما فيهما، وجنَّتانِ من فضّةٍ آنيتُهما وحليتُهما وما فيهما، وما بينَ القومِ وبينَ أن يَنْظُروا إلىٰ ربِّهم إلَّا رداءُ الكبرياءِ علىٰ وجهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ**».

• وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، فذكرهما ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢] فهذه أربع.

(١) البخاري (٢٨٠٩)، **وسَهمٌ غَرْبٌ**: أي لا يُعرف راميه، ولا من أين أتىٰ، أو جاء علىٰ غير قصد.
(٢) البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، ولفظه عندهما: «**جنتان من فضة**»: آنيتهما وما فيهما، و«**جنتان من ذهب**»: آنيتهما وما فيهما...

١٦- في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان، وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنات:

وقد اتخذ الرب تعالىٰ من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه، وخصَّها بالقُرب من عرشه، وغَرَسَها بيده، فهي سيِّدة الجنان، والله سبحانه يختار من كُلِّ نوعٍ: أعلاه وأفضَلَه، كما اختار من الملائكةِ جبريلَ، ومن البشرِ محمدًا ﷺ، ومن السماواتِ العليا، ومن البلادِ مكة، ومن الأشهر الحُرُم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات، إلىٰ غير ذلك، فهو سبحانه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

وقد روىٰ مسلم في صحيحه[١] عن المغيرة بن شُعبة، عن النبي ﷺ قال: «سأل موسىٰ عليه السلام ربَّه: ما أدنىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً؟ قال: رجلٌ يجيءُ بعد ما دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، فيُقال له: ادخُلِ الجنَّة، فيقول: ربِّ! كيفَ؟ وقد نَزلَ الناسُ منازلهم وأخذُوا أَخَذَاتِهم؟!! فيقالُ له: أترضىٰ أن يكونَ لك مثل مَلِكٍ من ملوكِ الدنيا؟ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، قال: ربِّ فأعلاهُمْ منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلم تَرَ عينٌ، ولم تسمعْ أُذُنٌ، ولم يَخْطُرْ علىٰ قلب بشر»، ومصداقه من كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

١٧- في ذكر بوابي الجنة وخزنتها، واسم مقدمهم ورئيسهم:

* قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣]، والخَزَنة:

---

(١) مسلم (١٨٩).

جمع خازن، مثل حفظة وحافظ، وهو المؤتمن علىٰ الشيء الذي قد استحفظه.

* **وروىٰ مسلم في صحيحه[١] عن أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي بابَ الجنة يومَ القيامةِ فأستفتحُ، فيقول الخازنُ: مَنْ أنتَ؟ فأقول: محمدٌ، فيقولُ: بك أمِرْتُ ألّا أفتحَ لأحدٍ قَبْلَكَ**».

* **وفي حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **المتفق عليه[٢]**: «**مَنْ أنفقَ زوجين في سبيلِ الله دعاه خَزَنَةُ الجنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بابٍ: أيْ فُلُ، هلُمَّ**»، قال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ ذاك الذي لا تَوَىٰ عليه. فقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونَ منهم**».

لما سَمَت هِمَّةُ الصِّدِّيق إلىٰ تكميلِ مراتب الإيمانِ، وطمعت نفسُه أن يُدعىٰ من تلك الأبوابِ كلّها، فسأل رسولَ الله ﷺ: هل يحصل ذلك لأحدٍ من الناس ليسعىٰ في العمل الذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله، وبشَّره بأنه من أهله.

فكأنه قال: هل يكمل أحدٌ هذه المراتب فيُدعىٰ يوم القيامة من أبوابها كُلّها؟ فلله ما أعلىٰ هذه الهمة وأكبر هذه النفس!!

وقد سمَّىٰ اللهُ سبحانه خازنَ النارِ مالكًا، وهو اسم مشتقٌّ من الملك، وهو القوّة والشِّدَّة، حيث تصرَّفت حروفُه.

١٨- في ذكر أول من يقرع باب الجنة:

• **عن أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا أوَّلُ الناسِ خروجًا إذا بُعِثُوا، وأنا خَطيبُهم إذا أنصتُوا، وقائدُهم إذا وَفَدُوا، وشافعُهم إذا حُبِسُوا، وأنا مبشِّرُهم إذا أيسُوا، لواءُ الحمدِ بيدي، ومفاتيحُ الجنةِ يومئذ بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ**

(١) مسلم (١٩٧).
(٢) البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (١٠٢٧). وفُلُ: منادىٰ مُرَخّم أي: يا فلان، لا تَوَىٰ: لا هلاك.

آدمَ يومئذ علىٰ ربي ولا فخر، يطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهم اللؤلؤ المكنون»[١].

• وفي صحيح مسلم[٢] من حديث المختار بن فلفل عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثرُ النَّاسِ تَبَعًا يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ من يَقْرَعُ بابَ الجنةِ**».

١٩- في ذكر أول الأمم دخولا الجنة:

* في الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**نحنُ السَّابقونَ الأوَّلُونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنهم أوتُوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**».

* وفي صحيح مسلم[٤] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحنُ الآخرونَ الأوَّلُون يومَ القيامةِ، ونحنُ أوَّلُ من يدخلُ الجنةَ، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتابَ من قبلِنا، وأوتيناه من بعدِهم، فاختلفُوا فهدانا الله لما اختلفُوا فيه من الحقِ بإذنه**».

فهذه الأمةُ أسبقُ الأمم خروجًا من الأرض، وأسبقهم إلىٰ أعلىٰ مكانٍ في الموقف، وأسبقهم إلىٰ ظِلِّ العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصِّراطِ، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنة، فالجنة محرَّمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلَها محمد ﷺ، ومحرَّمة علىٰ الأمم حتىٰ تَدْخُلَها أمته.

٢٠- في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة، وصفتهم:

• في الصحيحين[٥] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أوَّلُ**

---

(١) الترمذي (٣٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٢) مسلم (١٩٦).
(٣) البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).
(٤) مسلم (٨٥٥).
(٥) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

زُمرةٍ تَلِجُ الجنةَ صُورُهم علىٰ صُورة القمرِ ليلةَ البدرِ، لا يَبْصُقُون فيها، ولا يتمخَّطُون فيها، ولا يتغوَّطُون فيها، ، آنيتُهم وأمشاطُهمُ الذهبُ والفضَّةُ، ومجامرُهم الألوَّة، ورَشحُهُم المسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ؛ يُرىٰ مُخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحُسْنِ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، قلوبُهم علىٰ قلبٍ واحدٍ، يُسبِّحُونَ الله بُكْرةً وعَشِيًّا».

• وقال الإمام أحمد(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ من أمتي يَدْخُلُون الجنة، وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخُلون النار، فأما أوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون الجنة: فالشهيدُ وعبدٌ مملوكٌ لم يشغلْه رِقُّ الدُّنيا عن طاعةِ ربِّه، وفقير مُتَعَفِّفٌ ذو عيال. وأوَّلُ ثلاثة يدخلون النَّار فأميرٌ مُسلَّط، وذو ثروةٍ من مالٍ لا يؤدي حَقَّ الله من ماله، وفقيرٌ فَخُور».

• وروىٰ(٢) عن عبد الله بن عمرو يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «هل تدرون أوَّل منْ يدخلُ الجنةَ؟»، قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، قال: «فقراءُ المهاجرينَ الذين تُتَّقىٰ بهم المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرهِ لا يستطيعُ لها قضاءً، تقول الملائكة: ربَّنا نحنُ ملائكتُكَ وخزنتُكَ وسكانُ سماواتِك، لا تدخلْهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادي لا يُشركون بي شيئًا، تُتَّقىٰ بهمُ المكارهُ، يموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدره لم يستطعْ لها قضاءً، فعند ذلك تدخلُ عليهم الملائكةُ من كلِّ بابٍ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]».

٢١- في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة:

* روىٰ الترمذي(٣) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) أحمد (٢/ ١٩٨٦).
(٢) أحمد (٣/ ١٣٨٢).
(٣) الترمذي (٢٣٥٥)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ.

«يدخلُ فقراءُ أُمَّتي الجنةَ قبلَ الأغنياءِ بأربعين خريفًا».

* وفي صحيح مسلم[١] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ فقراءَ المهاجرينَ يسبقونَ الأغنياءَ يومَ القيامة بأربعينَ خريفًا**».

ولكن ها هنا أمرٌ يجب التنبيهُ عليه، وهو أنَّه لا يَلزمُ من سَبْقِهم لهم في الدخولِ ارتفاعُ منازلِهم عليهم، بل قد يكونُ المتأخرُ أعلىٰ منزلةً؛ وإنْ سَبقَهُ غيرُه في الدخولِ، والدليلُ علىٰ هذا أنَّ من الأمةِ من يدخلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، وهم السَّبعون ألفًا ، وقد يكونُ بعضُ مَنْ يُحَاسب أفضلَ من أكثرِهم، والغَنِيُّ إذا حوسبَ علىٰ غِنَاهُ، فوُجِدَ قد شكرَ اللهَ تعالىٰ فيه، وتقرَّب إليه بأنواع البِرِّ والخيرِ والصَّدقةِ والمعروفِ، كان أعلىٰ درجةً من الفقيرِ الَّذي سَبقَهُ في الدخولِ، ولم تكنْ له تلك الأعمالُ، ولا سيِّما إذا شاركَه الغَنِيُّ في أعمالِه هو وزادَ عليه فيها، واللهُ لا يضيعُ أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عملًا.

فالمزيَّةُ مزيَّتان؛ مزيةُ سَبْقٍ، ومزيةُ رِفْعةٍ، وقد يجتمعانِ وينفردانِ، فيحصلُ لواحدٍ السَّبْقُ والرِّفعةُ، ويعدِمُهما آخرُ، ويحصلُ لآخرَ السَّبْقُ دونَ الرِّفعةِ، ولآخرَ الرِّفْعَةُ دونَ السَّبْقِ، وهذا بِحَسَبِ المتقضي للأمرينِ، أو لأحدِهما وعدِمه، وباللهِ التوفيق.

٢٢- في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم:

• قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ

---

(١) مسلم (٢٩٧٩).

﴿ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦] فأخبر أنه أعدَّ الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصافَ المتقينَ، فذكر بذلهم للإحسان في حالةِ العسرِ واليسرِ والشدّةِ والرّخاءِ، فإن من الناسِ مَنْ يبذل في حالِ اليسرِ والرخاءِ، ولا يبذل في حال العسرِ والشدةِ، ثم ذكرَ كفّ أذاهم للناسِ بحبسِ الغيظِ بالكظمِ، وحبس الانتقامِ بِالعفوِ.

ثم ذكر حالَهم بينهم وبين ربِّهم في ذنوبِهم، وأنها إذا صَدَرَت منهم قابلوها بذكرِ اللهِ والتوبةِ والاستغفارِ، وترك الإصرارِ، فهذا حالهم مع الله، وذاك حالهم مع خلقه.

• وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] فأخبر تعالىٰ أنه أعدَّها للمهاجرينَ والأنصارِ وأتباعِهم بإحسانٍ، فلا مطمعَ لمن خرجَ عن طريقِهم فيها.

• وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤] فوصفهم بإقامةِ حقِّه باطنًا وظاهرًا وبأداءِ حقِّ عباده.

• وفي صحيح مسلم(١) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذاتَ يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلِّمَكم ما جهلتم ممَّا علَّمني من يومي هذا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبدًا حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهم وإنهم أتتهمُ الشَّياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمَرَتْهُمْ أن يُشركوا بي ما لم أُنْزِلْ به سُلطانًا، وإن الله نظرَ إلىٰ أهل الأرض فمقتهم،**

(١) مسلم (٢٨٦٥).

عربَهم وعجمَهم، إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ. وقال: إنما بعثتُكَ لأبتليكَ وأبتلي بك. وأنزلتُ عليكَ كتابًا لا يغسلُه الماءُ، تقرؤه نائمًا ويقظانَ، وإن الله أمرني أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فقلتُ: ربِّ إذًا يَثْلَغُوا رأسي، فَيَدعُوه خُبْزَةً، قال: اسْتَخْرِجْهُم كما أخرجُوك، واغْزُهُم نُغْزِك، وأنفقْ فَسَنُنْفِق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعَكَ مَنْ عصاك، قال: وأهلُ الجنة ثلاثة: ذو سلطانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لِكُلِّ ذي قُربىٰ ومسلم، وعفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ قال: وأهل النار خمسة: الضعيفُ الذي لا زَبْرَ لَهُ[1]، الذين هم فيكم تَبَعًا لا يبغونَ فيكم أهلاً ولا مالاً، والخائنُ الذي لا يخفىٰ له طمعٌ، وإن دَقَّ، إلاَّ خانه، ورجلٌ لا يصبحُ ولا يُمسي إلَّا وَهُوَ يخادعكَ عن أهلك ومالك وذَكَرَ البخل، أو الكذب، والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ، وإن الله أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا حتىٰ لا يفخرَ أحدٌ علىٰ أحدٍ ولا يبغي أحدٌ علىٰ أحد».

وبالجملة فأهلُ الجنة أربعةُ أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالىٰ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

فنسألُ اللهَ أَنْ يجعلنا منهم بِمَنِّه وكَرَمِه.

٢٣- في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ:

* في الصحيحين[2] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «أما تَرْضَونَ أن تكونُوا رُبُعَ أهلِ الجنةِ؟» فكبَّرنا، ثم قال: «أمَا تَرْضَونَ أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنةِ؟» قال: فكبَّرنا، ثم قال: «إني لأرجُو أنْ تكونوا

---

(١) لا زَبْرَ له: أي: لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام علىٰ ما لا ينبغي.
(٢) البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) واللفظ له.

شَطْرَ أهلِ الجنةِ، وسأخبرُكُمْ عن ذلك، ما المسلمونَ في الكفارِ إلَّا كشعرةٍ بيضاءَ في ثورٍ أسودَ، أو كشعرةٍ سوداءَ في ثورٍ أبيض».

* **وعن بريدة بن الحصيب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**أهلُ الجنةِ عشرونَ ومائةُ صفٍّ، هذه الأمةُ منها ثمانونَ صفًّا**»[1].

٢٤- في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وكذلك هم في النار:

• ثبت في الصحيحين[2] من حديث أيوب، عن محمد بن سيرين قال: إمَّا تَفَاخَرُوا وإمَّا تَذَاكَرُوا: الرجالُ أكثرُ في الجنةِ أم النساءُ؟ فقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أو لم يقلْ أبو القاسم ﷺ: «**إنَّ أوَّل زُمْرَةٍ تدخلُ الجنَّة علىٰ صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها علىٰ أضوأ كوكبٍ دُرِّي في السماء، لكل امرئٍ منهم زوجتانِ اثنتانِ، يُرىٰ مُخُّ سُوقهما من وراء اللحمِ، وما في الجنَّة عَزَبٌ**».

فإن كُنَّ من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال، وإن كُنَّ من الحور العين لم يلزمْ أن يكن في الدنيا أكثر.

والظاهرُ أنهنَّ من الحور العين.

• ومن حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه: شهدتُ مع رسول الله ﷺ العيد، فصلَّىٰ قبل أن يخطبَ بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ، ثم خَطَبَ بعدما صلَّىٰ فوعظَ الناسَ وذكَّرَهم، ثم أتىٰ النساءَ فوعظهنَّ، ومعه بلال، فذكَّرهن وأَمَرَهنَّ بالصدقةِ، قال: فجعلتِ المرأةُ تُلقي خاتمها، وخُرْصَها، والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالًا فجمع ما هناك، ثمَّ قال: «**إنَّ منكنَّ في الجنةِ ليسيرٌ**»، فقالت امرأة: يا رسول الله لِمَ؟ قال: «**إنكن تُكْثِرْنَ اللعنَ، وتكْفُرْنَ العشيرَ**»[3].

---

(١) الترمذي (٢٥٤٦)، وأحمد (١٠/ ٥٤٣٦)، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.
(٢) البخاري (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.
(٣) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٨٥).

وهذا يدل علىٰ أنهنَّ إنما كُنَّ في الجنةِ أكثرَ بالحورِ العينِ التي خُلِقنَ في الجنةِ، وأقلَّ ساكنيها نساء الدنيا، فنساءُ الدنيا أقلُّ أهلِ الجنةِ وأكثرُ أهلِ النارِ، أما كونهنَّ أكثرَ أهلِ النارِ فلما روىٰ البخاري في صحيحه(١) من حديث عِمْرَان بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اطلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلها النساء، واطَّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراء**».

وأما كونهن أقلّ أهل الجنة ففي أفراد مسلم(٢) عن مُطَرِّف بن عبد الله أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما، فقالت الأخرىٰ: جئتَ من عند فلانة؟ فقال: جئتُ من عند عمران بن حصين، فحدَّثنا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أقلَّ ساكني الجنةِ النساءُ**».

٢٥- فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب، وذكر أوصافهم:

* ثبت في الصحيحين(٣) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**يدخل الجنَّةَ من أمتي زمرةٌ هم سبعونَ ألفًا تُضيءُ وجوهُهم إضاءةَ القمر ليلة البدر**».

* ومن حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عليَّ الأممُ فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيْط، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ، ورُفِعَ لي سوادٌ عظيم، فظننتُ أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه، ولكن انْظُرْ إلىٰ الأفق، فنظرتُ، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نَهَضَ فدخلَ منزلَه، فخاضَ الناسُ في أولئك الذين يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضُهم: لعلَّهم الذين

(١) البخاري (٣٢٤١، ٥١٩٨، ٦٤٤٩، ٦٥٤٦).
(٢) مسلم (٢٧٣٨).
(٣) البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦).

صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ. وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلامِ، فلم يشرِكُوا بالله شيئًا، وذكرُوا أشياءَ، فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ، فقال: «**ما الذي تخوضونَ فيهِ؟**» فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يتطيَّرُونَ، وعلىٰ ربهم يتوكلون**»، فقام عُكَّاشةُ بنُ محصنٍ، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم**» ثم قامَ رجلٌ آخر، فقال: ادعُ الله أن يجعلَني منهم، فقال: «**سبقك بها عُكَّاشةُ**»(١).

والنبي ﷺ جعل الوصفَ الذي يستحقُ به هؤلاءِ دخولَ الجنةِ بغيرِ حسابٍ هو تحقيقُ التوحيد وتجريده، فلا يَسألون غَيرهم أَنْ يَرقيهم ولا يَتطيرونَ، والطِيَرَةُ: نوعٌ من الشركِ، ويتوكلون علىٰ اللهِ وحدَه لا علىٰ غيرِه، وتركُهم الاسترقاء والتطير هو من تمامِ التوكُّلِ علىٰ اللهِ، كما في الحديث: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(٢).

قال ابن مسعود: وما منَّا إلَّا، ولكنَّ اللهُ يُذْهبه بالتوكُّلِ.

فالتوكُّل ينافي التطيُّر، وأمَّا رقية الغير فهي إحسان من الراقي، **وقد رقىٰ رسولَ الله ﷺ جبريلُ**(٣)، وأَذِنَ له في الرُّقَىٰ، وقال: «**لا بأسَ بها مَا لم يَكُن فيها شِرْكٌ**»(٤)، واستأذنوه فيها فقال: «**من استطاعَ منكم أن ينفعَ أخاه فلينفعْه**»(٥)، وهذا يدلُّ علىٰ أنها نفعٌ وإحسانٌ، وذلك مستحبٌّ مطلوبٌ لله ورسوله، فالراقي محسنٌ، والمسترقي سائل راجٍ نفعَ الغير، وتحقيق التوكُّل ينافي ذلك.

فإن قيل: فعائشة قد رقت رسولَ اللهِ ﷺ، وجبريلُ قد رقاه.

---

(١) البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).
(٢) أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن. صحيح،
(٣) مسلم (٢١٨٦).
(٤) مسلم (٢٢٠٠).
(٥) مسلم (٢١٩٩).

قيل: أجل، ولكن هو لم يسترقِ، وهو ﷺ لم يقلْ: لا يرقيهم راقٍ، وإنما قال: لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيَهم، وفي امتناعه ﷺ أن يدعوَ للرجل الثاني سدٌّ لباب الطلبِ، فإنه لو دَعَا لكلِّ مَنْ سأله ذلك؛ فربما طلبه مَنْ ليس من أهله، والله أعلم.

٢٦- في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة:

• عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله وعدني أن يدخلَ الجنةَ مِن أمتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ**»، قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلَّا مثل الذبابِ الأصهبِ في الذِّبانِ، قال رسول الله ﷺ: «**فإن الله وعدني سبعينَ ألفًا، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وزادَ في ثلاثِ حثياتٍ**»(١).

• عن أبي بكر بن عمير، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله وعدني أن يُدخلَ من أمتي ثلاثمائة ألفٍ الجنةَ**»، فقال عميرُ: يا رسول الله زِدْنَا فقال هكذا بيده، فقال عمير: يا رسولَ اللهِ زدنا فقال عمرُ: حَسْبُكَ يا عمير، فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب، وما عليك أَنْ يُدخلنا اللهُ الجنةَ، فقال عمرُ: إن الله عَزَّ وَجَلَّ إن شاءَ أدخلَ الناسَ الجنة بحفنةٍ أو بحثيةٍ واحدةٍ، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**صدق عمر**»(٢).

• عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يدخلُ الجنَّةَ من أمتي سبعون ألفًا**»، قالوا: زِدْنَا يا رسول الله، قال: **لكلِّ رجلٍ سبعون ألفًا**. قالوا: زدْنا يا رسول الله، وكان على كثيب فحثا بيده، قالوا: زدنا يا رسول الله، فقال: **هكذا**. وحَثَا بيده، قالوا: يا نبي الله، أبعدَ اللهُ مَنْ دخل النَّارَ بعد هذا(٣).

---

(١) أحمد (١٠/ ٥٢٠٧).
(٢) الطَّبراني في «الكبير» (١٧/ ١٢٣).
(٣) أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣٧٨٣).

٢٧- في ذكر تربة الجنة وطينها وحصبائها وبنائها:

* في الصحيحين[١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو ذر يُحدِّث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أُدْخِلْتُ الجنَّة فإذا فيها جَنَابِذُ اللؤلؤ، وإذا تُرابُها المسكُ**» وهو قطعة من حديث المعراج.

* وروىٰ مسلم[٢] في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ سأل ابنَ صَائد عن تُربة الجنة فقال: دَرْمَكَةٌ بيضاءُ، مِسْكٌ خالصٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**».

٢٨- في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها:

• قال الله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ [الزمر:٢٠] فأخبر تعالىٰ أنَّها غرفٌ فوقَ غرفٍ، وأنَّها مبنيةٌ بناءً حقيقةً، لئلا تَتَوَهَّم النفوسُ أنَّ ذلك تمثيلٌ، وأن ليس هناك بناءٌ، بل تتصوَّر النفوسُ غرفًا مبينةً كالعَلالي، بعضِها فوق بعضٍ، حتىٰ كأنها تنظرُ إليها عيانًا، ومبنيةٌ صفةٌ للغرفِ الأولىٰ والثانية، أي: لهم منازلُ مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها.

• وقال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان:٧٥] والغرفةُ جِنْسٌ كالجنةِ، وتأمَّل كيف جعل جزاءَهم - علىٰ هذه الأفعال المتضمَّنةِ للخضوعِ والذُّلِّ والاستكانةِ لله - الغرفَةَ والتحيةَ والسلامَ، في مقابلةِ صبرِهم علىٰ سوءِ خطابِ الجاهلينَ لهم، فَبُدِّلُوا بذلك سلامُ الله وملائكتِه عليهم.

• وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧]، وقال تعالىٰ:

---

(١) البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٢) مسلم (١٩٢٨)، **والدَّرْمك**: هو الدقيق الحواري الخالص البياض.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢].

• وقال تعالىٰ عن امرأةِ فرعونَ أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

• وفي الصحيحين(١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إن للمؤمن في الجنةِ لخيمةً من لُؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها ستون ميلاً، فيها أهلونَ يطوفُ عليهم المؤمنُ، فلا يَرَىٰ بعضُهم بعضًا**».

• وفي الصحيحين(٢) من حديثِ عبدِ الله بن أبي أوفىٰ وأبي هريرةَ وعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ جبريلَ قال للنبيِّ ﷺ: «**هذه خديجةُ أقرِئْها السلامَ من رَبِّها. وأْمُره أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ في الجنةِ من قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب**».

والقصبُ ها هنا: قصبُ اللؤلؤِ المجوف.

• وفي الصحيحين(٣) من حديثِ حميْد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**دخلتُ الجنَّة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشابٍ من قريش، فظننتُ أني أنا هو، فقلت: ومن هو؟ قالوا: لعمر بن الخطاب**».

٢٩- في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك:

* قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦]، قال مجاهد: يهتدي أهلها إلىٰ بيوتِهم ومساكِنهم لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدِلُّون عليها أحدًا.

---

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).
(٢) البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).
(٣) البخاري (٥٢٢٦، ٧٠٢٤)، ومسلم (٢٣٩٤).

* وفي صحيح البخاري[(١)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبي الله ﷺ قال: «إذا خَلَصَ المؤمنونَ من النَّارِ حُبِسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار، يتقاصُّون مظالم كانتْ بينهم في الدنيا، حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنةِ، والذي نفسي بيده، إنَّ أحدَهم بمنزله في الجنة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدنيا».

٣٠- في كيفية دخولهم الجنة، وما يستقبلون عند دخولها:

• قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

• وفي الصحيحين[(٢)] من حديث سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَيدخُلنَّ الجنَّةَ من أمتي سبعونَ ألفًا، أو سبعمائة ألفٍ متماسكونَ، آخذٌ بعضُهم ببعضٍ، لا يَدخلُ أوّلُهم حتىٰ يدخلَ آخرُهم، وجُوهُهم علىٰ صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ».

٣١- في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم:

* عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ الله عَزَّوَجَلَّ آدمَ علىٰ صورتِه، طولُه ستُّونَ ذِراعًا، فلمَّا خلقَهُ قال له: اذهبْ فسلِّم علىٰ أولئك النَّفرِ، وهم نَفرٌ مِنَ الملائكةِ جُلوسٌ، فاستمعْ ما يحيُّونَكَ، فإنها تحيَّتُك وتحيَّةُ ذُرِّيَّتك، قال: فذهبَ، فقال: السلامُ عليكُم، فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله، فزادوه ورحمة الله قال: فَكُلُّ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ علىٰ صُورةِ آدمَ وطولُه ستُّونَ ذراعًا، فلم يزلْ ينقصُ الخَلْقُ بعدَهُ حتَّىٰ الآن»[(٣)].

* وأما الأخلاق فقد قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ

(١) البخاري (٢٤٤٠).
(٢) البخاري (٦٥٤٣)، ومسلم (٢١٩).
(٣) البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم. وفي الصحيحين[(١)]: «**أخلاقُهم علىٰ خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، علىٰ صُورةِ أبيهم آدم عليه السلام: ستُّونَ ذِراعًا في السماءِ**».

* وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين[(٢)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**أوَّلُ زُمرةٍ تَلِجُ الجنةَ...**» الحديث، وقد تقدَّم، وفيه: «**لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، قلوبُهم علىٰ قَلْبِ رجلٍ واحدٍ، يُسبِّحُون الله بُكْرَةً وعشيَّةً**».

* وكذلك وصف الله سبحانه وتعالىٰ نساءهم بأنهن أتراب، أي في سِنٍ واحدةٍ، ليس فيهنَّ العجائزُ والشوابُّ، وفي هذا الطولِ والعرضِ والسِّنِّ من الحكمةِ ما لا يخفىٰ، فإنه أبلغُ وأكملُ في استيفاء اللذاتِ؛ لأنه أكملُ سنِّ القوةِ مع عظمِ آلاتِ اللذةِ، وباجتماعِ الأمرين يكون كمالُ اللذةِ وقوَّتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلىٰ مائة عذراء، ولا يخفىٰ التناسب الذي بين هذا الطول والعرض، وأنه لو زاد أحدهما علىٰ الآخر فات الاعتدال، وتناسب الخلقة يصير طولًا مع دقةٍ، أو غلظًا مع قِصَرٍ، وكلاهما غيرُ مناسبٍ، والله أعلم.

٣٢- في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم وأعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه:

• قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٣]، قال مجاهد وغيره: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ موسىٰ، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ هو محمد ﷺ.

• وفي حديث الإسراء أنه ﷺ لما جاوز موسىٰ قال: «**ربِّ لَمْ أظنَّ أنْ ترْفَعَ**

---

(١) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٢) البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤).

عليَّ أحدًا، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلَّا الله؛ حتىٰ جاوز سدرة المنتهىٰ»(١).

• وفي صحيح مسلم(٢) من حديث المغيرة بن شعبة عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ موسىٰ سأَلَ ربَّهُ: ما أدنىٰ أهل الجنة منزلةً؟ فقال: رجلٌ يجيءُ بعدما دَخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ فيُقال له: ادخُلِ الجنةَ، فيقول: ربِّ كيف؟ وقد نزلَ الناسُ منازلَهم وأَخذُوا أخذاتِهِمْ؟ فيُقال له: أترضىٰ أن يكونَ لك مثلُ مُلْكِ مَلِكٍ من ملوكِ الدنيا فيقول: رضيتُ رَبِّ! فيقولُ: لَكَ ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه، فقال في الخامسة: رضيتُ رَبِّ! فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذَّت عينك، فيقول: رضيت ربِّ قال: فأعلاهم منزلةً؟ قال: ذلك الذي أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كرامَتهم بيديَّ، وختمتُ عليها، فلم تَرَ عَيْنٌ، ولم تسمعْ أُذُنٌ، ولم يَخْطُرْ علىٰ قلبِ بشرٍ».

٣٣- في تحفة أهل الجنة إذا دخولها:

روىٰ مسلم في صحيحه(٣) من حديث ثَوْبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ قائمًا عند رسولِ الله ﷺ فجاء حَبْرٌ من أحبارِ يهود، فقال: السلامُ عليك يا محمدُ، فدفعتُه دفعةً كاد يُصْرَعُ منها، فقال: لِمَ تدفعْني؟ فقلتُ: أَلَا تقولُ يا رسولَ الله! فقال اليهوديُّ: إنما ندعوه باسمه الذي سمَّاه به أَهْلُهُ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اسمي محمدًا الذي سمَّاني به أهلي» فقال اليهودي: جئتُ أسأَلُك، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أينفعُكَ بشيءٍ إن حدَّثْتُكَ»، فقال: أسمع بأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رسولُ الله ﷺ بعود معه، فقال: «سَلْ»، فقال اليهودي: أين يكونُ الناسُ يوم تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماوات؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «هم في الظُّلْمَةِ دونَ الجسرِ»، قال: فَمَنْ أَوَّلُ الناسِ إجازةً يومَ القيامةِ؟ قال: «فقراءُ المهاجرينَ»، قال اليهودي: فما تحفتُهم

(١) البخاري (٧٥١٧).
(٢) مسلم (١٨٩).
(٣) مسلم (٣١٥).

حين يدخلونَ الجنةَ؟ قال: «**زِيادةُ كَبِدِ النُّونِ**»، قال: فما غِذاؤُهم علىٰ إِثْرِه؟ قال: «**يُنْحَرُ لهم ثورُ الجنةِ الذي كان يأكلُ من أطرافِها**»، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عينٍ فيها تُسمَّىٰ سلسبيلًا**»، قال: صدقت، قال: وجئتُ أسألك عن شيءٍ لا يعلمه أحدٌ من أهلِ الأرضِ إلَّا نبيّ أو رجلٌ أو رجلان، قال: «**أينفعُكَ إنْ حدَّثْتُكَ؟**»، قال: أسمعُك بأذنيَّ، قال: جئتُ أسألُك عن الولد؟ قال: «**ماءُ الرجل أبيضُ وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا فَعَلَا مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأةِ أَذْكَرَا بإذن الله تعالىٰ، وإنْ عَلَا مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرجل آنَثَا بإذن الله تعالىٰ**»، قال اليهوديُّ: لقد صدقتَ وإنك لنبيٌّ، ثم انصرفَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه، حتىٰ أتاني اللهُ عَزَّوَجَلَّ به**».

٣٤- في ذكر ريح الجنة، ومن مسيرة كم ينشق:

* عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**من قتلَ قتيلاً من أهل الذِّمَّةِ لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ ريحَها ليُوجدُ من مسيرةِ مائةِ عامٍ**»(١).

* ورواه البخاري في الصحيح(٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: «**لَيوجدُ من مسيرةِ أربعينَ عامًا**».

* وقد أخرجا في الصحيحين(٣) من حديث أنس قال: لم يشهدْ عمِّي الذي سُمِّيت به مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشقَّ عليه، قال: أوَّلُ مشهدٍ شَهِدَهُ رسولُ الله ﷺ غِبْتُ عنه، فإنْ أراني اللهُ مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني اللهُ ما أصنعُ، قال: فهابَ أن يقول غيرها، قال: فَشَهِدَ مع رسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ، قال: فاستقبلَ سعدَ بن معاذٍ، فقالَ لَهُ: أينَ؟ فقال: واهًا لريحِ الجنةِ، أجدُه دونَ أُحدٍ،

---

(١) أحمد (٣/ ١٤١٨)، والحاكم (٢/ ١٢٦).

(٢) البخاري (٣١٦٦).

(٣) البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣).

قال: فقاتلَهم حتىٰ قُتِلَ، قال: فوُجِدَ في جسدِهِ بِضْعٌ وثمانُونَ من بينِ ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فقالت أختُهُ، عَمّتي الربيع بنت النَّضْرِ: فما عرفتُ أخي إلا ببنانِهِ، ونزلت هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، قال: فكانوا يرونَ أنها نزلتْ فيه وفي أصحابِهِ.

وريحُ الجنةِ نوعانِ: ريحٌ يُوجدُ في الدنيا تشمّه الأرواحُ أحيانًا ولا تدركهُ العبارة، وريحٌ يُدْرَكُ بحاسّةِ الشَّمِّ للأبدانِ، كما تُشَمُّ روائحُ الأزهارِ وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قُرْبٍ وبُعْدٍ، وأما في الدنيا فقد يدركه مَنْ شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس ابن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم، وأن يكون من الأول، والله أعلم.

٣٥- في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها:

• روىٰ مسلم في صحيحه(١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ينادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تحْيَوا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تبأسُوا أبدًا**»، وذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

• وفي الصحيحين(٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **يقولُ لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنة، فيقولون: لبَّيكَ ربَّنا وسعْدَيْكَ، فيقولُ: هل رضيتُمْ؟ فيقولونَ: وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقك؟ فيقولُ: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك؛ قالوا: رَبَّنا وأيُّ**

(١) مسلم (٢٨٣٧).
(٢) البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعدهُ أبدًا».

• وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**يُدْخِلُ الله أهلَ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلَ النارِ النارَ، ثم يقومُ مؤذِّنٌ بينهم فيقولُ: يا أهلَ الجنَّةِ لا موتَ، ويا أهلَ النَّارِ لا موتَ، كلٌّ خالدٌ فيما هو فيه**».

وهذا الأذانُ وإنْ كان بين الجنَّةِ والنَّارِ فهو يبلغُ جميعَ أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ، ولهم نداءٌ آخرُ يومَ زيارتِهم ربَّهم تبارك وتعالىٰ، يُرسِلُ إليهم مَلَكًا، فيؤذِّنُ فيهم بذلك فيسارعونَ إلىٰ الزيارةِ، كما يؤذِّنُ مؤذِّنُ الجمعةِ إليها، وذلك في مقدارِ يومِ الجمعةِ، كما سيأتي مبينًا في باب: زيارتُهم الربَّ عَزَّوَجَلَّ إنْ شاء الله تعالىٰ، واللهُ أعلم.

٣٦- في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها:

* قال تعالىٰ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة:٢٧-٣٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ [الرحمن:٤٨] وهو جمعُ فنن، وهو الغصن.

* وقال: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن:٦٨].

* وفي الصحيحين(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظِلِّها مائة عامٍ لا يقطعُها فاقرؤوا إن شئتم** ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة:٣٠]».

---

(١) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦).

* وفي الصحيحين[١] عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلها مائة عام لا يقطعُها**».

* وفي جامع الترمذي[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما في الجنة شجرةٌ إلَّا وساقُها من ذهبٍ**». قال: هذا حديث حسنٌ.

* وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يقولُ الله: أعددتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَر علىٰ قلب بشرٍ، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة:١٧] **وفي الجنة شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظِلِّها مائة عامٍ لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** [الواقعة:٣٠] **وموضعُ سوطٍ من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾** [آل عمران:١٨٥][٣].

٣٧- في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها:

• قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ [البقرة:٢٥].

• وفي صحيح مسلم[٤] عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**عُرِضت عليَّ الجنَّةُ حتىٰ لو تناولتُ منها قِطْفًا أَخَذْتُهُ**».

• وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحنُ في صلاة الظهر إذ تقدَّم رسولُ الله ﷺ

(١) البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧).
(٢) الترمذي (٢٥٢٥).
(٣) الترمذي (٣٢٩٢). وقال: حسن صحيح.
(٤) مسلم (٩٠٤).

فتقدَّمنا، ثم تناولَ شيئًا ليأخذه ثم تأخَّر، فلما قضىٰ الصلاةَ قال له أُبيُّ بن كعبٍ: يا رسولَ الله صنعتَ اليومَ في صلاتِك شيئًا ما كنتَ تصنعُهُ؟ قال: «**إنه عُرِضتْ عليَّ الجنَّةُ وما فيها من الزَّهْرةِ والنُّضْرةِ، فتناولتُ منها قِطْفًا من عِنَب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتُكم به لأكلَ منه مَنْ بينَ السماءِ والأرضِ لا يَنْقُصُونَه**»(١).

٣٨- في زرع الجنة:

* قال تعالىٰ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

* وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يومًا يُحدِّثُ، وعنده رجلٌ من أهل الباديةِ: «**إنَّ رجلاً من أهلِ الجنةِ استأذَنَ ربَّه** عَزَّوَجَلَّ **في الزَّرْعِ، فقال له: أولستَ فيما اشْتَهيْتَ؟ فقال: بلىٰ، ولكني أُحبُّ أَنْ أزرعَ، فأسرعَ وبَذرَ فبادرَ الطَّرفَ نباتُه واستواؤُهُ واستحصادُه وتكويرُهُ أمثالَ الجبالِ، فيقولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **دونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنه لا يشبعُكَ شيءٌ**»، فقال الأعرابيُّ: يا رسولَ الله لا تجدُ هذا إلَّا قرشيًّا أو أنصاريًّا، فإنهم أصحابُ زرعٍ، فأمَّا نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ، فضحك رسولُ الله ﷺ(٢).

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ في الجنة زرعًا، وذلك البَذْرُ منه، وهذا أحسنُ أنْ تكون الأرضُ معمورةً بالشَّجرِ والزرعِ.

٣٩- في ذكر أنهار الجنة، وعيونها، وأصنافها، ومجراها الذي تجري عليه:

* قد تكرَّر في القرآنِ في عدَّة مواضع قوله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وفي موضعٍ: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠] وفي موضعٍ: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وهذا يدلُّ علىٰ أمورٍ:

---

(١) أحمد (٦/ ٣١٢٣) مطولًا.

(٢) البخاري (٧٥١٩، ٢٣٤٨).

- **أحدها**: وجودُ الأنهارِ فيها حقيقةً.

- **الثاني**: أنها جاريةٌ لا واقفةٌ.

- **الثالث**: أنها تحت غُرَفِهم وقُصُورِهم وبساتينِهم، كما هو المعهود في أنهارِ الدنيا.

* وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد:١٥]، فذكر سبحانه هذه الأجناسَ الأربعةَ، ونفىٰ عن كلِّ واحدٍ منها الآفةَ التي تعرِضُ له في الدنيا:

- فآفةُ الماءِ أنْ يأسنَ ويأْجَنَ من طولِ مُكْثِه.
- وآفةُ اللَّبَنِ أن يتغيرَ طعمُه إلىٰ الحموضةِ، وأنْ يصيرَ قارصًا.
- وآفةُ الخمرِ كراهةُ مذاقِها المنافي للذَّةِ شُرْبِها.
- وآفةُ العَسَلِ عدمُ تصفيتِه.

وهذا من آياتِ الربِّ تعالىٰ أنْ يُجريَ أنهارًا من أجناسٍ لم تجرِ العادةُ في الدنيا بإجرائها، ويُجْرِيْها في غيرِ أخدودٍ، وينفي عنها الآفاتِ التي تَمنعُ كمالَ اللَّذةِ بها، كما نَفَىٰ عن خمرِ الجنَّةِ جميعَ آفاتِ خمرِ الدنيا، من الصداعِ والغَوْلِ واللَّغوِ والإنزافِ وعدم اللَّذة.

فهذه خمسُ آفاتٍ من آفاتِ خمْرِ الدنيا:

- تغتالُ العقلَ.
- وتُكْثِرُ اللَّغوَ علىٰ شربِها؛ بل لا يطيبُ لشرابها ذلك إلَّا باللَّغوِ.

- وتنزِفُ في نفسِها، وتنزفُ المالَ.
- وتصدِّعُ الرَّأسَ.
- وهي كريهةُ المذاقِ.

وهي رِجْسٌ من عملِ الشَّيْطانِ، تُوقعُ العداوةَ والبغضاءَ بين النَّاسِ، وتصُدُّ عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ، وتدعو إلىٰ الزِّنا، وربما دعتْ إلىٰ الوقوع علىٰ البنتِ والأُختِ وذواتِ المحارمِ، وتُذْهِبُ الغَيْرةَ، وتُورثُ الخِزْيَ والنَّدامةَ والفضيحةَ، وتُلْحِقُ شاربَها بأنقصِ نوعِ الإنسانِ: وهم المجانين، وتَسْلُبُه أحسنَ الأسماءِ والسِّماتِ، وتكسوهُ أقبحَ الأسماءِ والصفاتِ.

وتسهِّل قتلَ النَّفْسِ، وإفشاءَ السرِّ الَّذي في إفشائه مضرَّتُه أو هلاكُه، ومؤاخاةَ الشياطينِ في تبذيرِ المالِ، الَّذي جعَلَهُ اللهُ قيامًا له، ولمن تَلْزَمُهُ مؤنَتَهُ، وتَهْتِكُ الأستارَ، وتُظْهِرُ الأسرارَ، وتَدُلُّ علىٰ العوراتِ، وتُهَوِّنُ ارتكابَ القبائح والمآثم، وتُخرِجُ من القلبِ تعظيمَ المحارم، ومُدْمِنُها كعابدِ وثَنٍ.

وكم أهاجت من حرْبٍ، وأفقرتْ من غَنِيٍّ، وأذلَّتْ من عزيزٍ، ووضعتْ من شريفٍ، وسلبتْ من نعمةٍ، وجلبتْ من نقمةٍ، ونسختْ مودَّةً، ونسجتْ عداوةً، وكم فرَّقتْ بين رجلٍ وحِبِّهِ فذهبت بقلبِه، وراحت بلُبِّهِ.

وكم أورثتْ من حسرةٍ وأجرتْ من عَبْرةٍ، وكم أغلقتْ في وجْهِ شَارِبِها بابًا من الخيرِ، وفتحت له بابًا من الشرِّ، وكم أوقعت في بليَّةٍ، وعجَّلت من منيةٍ، وكم أورثت من خِزيَةٍ، وجرَّت علىٰ صاحبِها من محنةٍ، وجرَّأتْ عليه من سَفَلةٍ، فهي جِماعُ الإثْمِ، ومفتاحُ الشرِّ، وسَلَّابةُ النِّعمِ، وجَالبةُ النِّقَمِ.

ولو لم يكن من قبائحِها إلَّا أنَّها لا تجتمعُ هي وخمرةُ الجنَّةِ في جَوْفِ عبدٍ،

كما ثبتَ عنه ﷺ أنَّه قال: «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيا لم يَشْرَبْها في الآخرةِ»[1].

وآفاتُ الخَمْرِ أضعافُ أضعافِ ما ذكرْنا، وكلُّها منتفيةٌ عن خَمْرِ الجنَّةِ.

* وأنهارُ الجنة تتفجَّر من أعلاها، ثُمَّ تنحدر نازلةً إلىٰ أقصىٰ درجاتها، كما روىٰ البخاري في صحيحه[2] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله عَزَّوَجَلَّ للمجاهدينَ في سبيلِه، بين كل درجتين كما بين السماءِ والأرضِ، فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوه الفردوسَ، فإنه وسَطُ الجنةِ، وأعلىٰ الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تفجَّر أنهارُ الجنةِ».

* وفي صحيحه[3] عن قتادة عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينَا أنا أسيرُ في الجنةِ إذا أنا بنهرٍ حافتاهُ قِبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ فقلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك، قال: فضربَ الملكُ بيده فإذا طينُه أَذْفَرُ».

* وفي صحيح مسلم[4] عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الكوثرُ نهرٌ في الجنة وَعَدَنِيهِ ربي عَزَّوَجَلَّ».

* وفي صحيحه[5] من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سَيْحَانُ وجَيْحَانُ والفراتُ والنِّيلُ كُلٌّ من أنهارِ الجنَّةِ».

* وأما العيون فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر:٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥-٦] قالَ بعضُ السَّلَفِ: معهم قضبان الذهبِ حَيْثُما مالُوا

(١) البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).
(٢) البخاري (٢٧٩٠).
(٣) البخاري (٦٥٨١).
(٤) مسلم (٤٠٠).
(٥) مسلم (٢٨٣٩).

مالَتْ معهُم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان:١٧-١٨] فأخبرَ سبحانه عن العينِ التي يَشْرَبُ بها المقرَّبون صرفًا، أنَّ شرابَ الأبرارِ يُمْزَجُ منها؛ لأنَّ أولئك أخلصوا الأعمالَ كُلَّها لله فَأُخْلِصَ شَرَابُهم، وهؤلاء مَزَجُوا فَمُزِجَ شرابُهم.

• ونظيرُ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين:٢٢-٢٨]

فأخبرَ سبحانه عن مِزاجِ شرابِهم بشيئين: بالكافورِ في أوَّلِ السُّورةِ، والزنجبيلِ في آخرِها، فإنَّ في الكافورِ من البَرْدِ وطِيبِ الرَّائحةِ، وفي الزَّنْجبيلِ من الحرارةِ وطيبِ الرَّائحةِ، وما يَحْدُثُ لهم باجتماعِ الشَّرابين -ومجيءِ أحدِهما علىٰ إثْرِ الآخرِ= حالةً أخرىٰ أكملَ وأطيبَ وألذَّ من كلٍّ منهما بانفرادِه، وتعتدلُ كيفيةُ كلٍّ منهما بكيفيةِ الآخرِ، وما ألطفَ موقعَ ذكْرِ الكافورِ في أوَّلِ السورةِ، والزنجبيل في آخرِها، فإنَّ شرابَهم مُزِج أوَّلًا بالكافورِ، وفيه من البَرْدِ ما يجيءُ الزنجبيلُ بعدَه فيَعْدِلَهُ.

والظَّاهرُ أنَّ الكأس الثانية غير الأولىٰ، وأنَّهما نوعان لذيذان من الشراب، أحدهما: مُزِجَ بكافور، والثاني: مُزِجَ بزنجبيل.

وأيضًا؛ فإنَّه سبحانه أخبرَ عن مَزْجِ شرابِهم بالكافورِ وبَرْدِهِ في مقابلةِ ما وصفَهم به من حرارةِ الخوْفِ، والإيثارِ، والصبْرِ، والوفاءِ بجميعِ الواجباتِ التي نبَّهَ بوفائهم بأضعفِها، وهو ما أوجبوه علىٰ أنفسِهم بالنَّذْرِ علىٰ الوفاءِ بأعلاها، وهو ما أوجبهُ اللهُ عليهم، ولهذا قال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٢] فإنَّ في الصَّبرِ من الخشونةِ وحبْسِ النَّفْسِ عن شهواتِها؛ ما اقتضىٰ أنْ يكونَ في جزائهم من

سَعَةِ الجنَّةِ، ونعومةِ الحريرِ ما يقابلُ ذلك الحبسَ والخشونةَ، وجمَعَ لهم بين النَّضْرةِ والسرورِ، هذا جمالُ ظواهِرِهم، وهذا جمالُ بواطِنِهم، كَمَا جمَّلُوا في الدُّنيا ظواهرَهم بشرائعِ الإسلامِ، وبواطنَهم بحقائقِ الإيمانِ.

• ونظيرُه قولُه تعالىٰ في آخرِ السورةِ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:٢١]، فهذه زينةُ الظاهرِ، ثمَّ قالَ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

فهذه زينةُ الباطنِ المُطَهِّرِ له من كلِّ أذىً ونقصٍ.

• ونظيرُه قولُه تعالىٰ لأبيهم آدمَ عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه:١١٨ - ١١٩].

فضَمِنَ لهُ ألَّا يصيبَهُ ذُلُّ الباطنِ بالجوع، ولا ذُلُّ الظاهرِ بالعُريِّ، وألَّا ينالَهُ حرُّ الباطنِ بالظَّمَأ، ولا حرُّ الظاهرِ بالضُّحَىٰ.

• ونظيرُ هذا ما عدَّدهُ علىٰ عبادِه من نعمِه أنَّه أنزلَ عليهم لِبَاسًا يواري سوآتِهم، ويُزَيِّنُ ظواهرَهم، ولباسًا آخرَ يُزَيِّنُ بواطنَهم وقلوبَهم، وهو لباسُ التقوىٰ، وأخبرَ أنَّه خيرُ اللِّباسينِ .

• وقريبٌ من هذا إخبارُه أنَّه زيَّنَ السَّماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكبِ، وحَفِظَها من كلِّ شيطانٍ ماردٍ، فزيَّن ظاهرَها بالنُّجومِ، وباطنَها بالحراسةِ .

• وقريبٌ منه أمرُه مَنْ أرادَ الحجَّ بالزَّادِ الظَّاهرِ، ثمَّ أخبرَ أنَّ خيرَ الزَّادِ الزادُ الباطنُ، وهو التَّقْوَىٰ .

• وقريبٌ منه قولُ امرأةِ العزيزِ عن يوسفَ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف:٣٢]، فأرتهنَّ حُسْنَهُ وجمالَه، ثمَّ قالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾

[يوسف:٣٢]، فأخبرَتْهُنَّ بجمالِ باطنِه، وزينَتِهِ بالعِفَّةِ.

وهذا كثيرٌ في القرآنِ لمن تأمَّلَهُ.

٤٠- في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه:

* قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات:٤١-٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:١٩-٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢-٧٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ [الرعد:٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٢-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٥-٢٦].

* وفي صحيح مسلم(١) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهلُ الجنَّة وَيَشْرَبُون، ولا يَمْتَخِطُون، ولا يتغوَّطونَ، ولا يبولونَ، طعامُهم ذلك جُشاءٌ كريحِ المسكِ، يُلْهَمُون التسبيحَ والتكبيرَ كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ**».

* وفي المسند وسنن النسائي(٢) بإسناد صحيح علىٰ شرط الصحيح عن زيدِ بنِ أرقم قال: جاءَ رجلٌ من أهلِ الكتابِ إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا أبا القاسم تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلونَ ويشربونَ؟ قال: «**نعم والذي نفس محمدٍ بيده، إن أحدَهم**

(١) مسلم (٢٨٣٥).
(٢) أحمد (٨/ ٤٤٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤١٤).

لَيُعطىٰ قُوَّة مائة رجلٍ في الأكل والشُّربِ والجماعِ والشَّهوةِ»، قال: فإن الذي يأكلُ ويشربُ تكون له الحاجةُ وليس في الجنةِ أذىٰ، قال: «**تكون حاجةُ أحدِهم رَشْحًا يفيضُ من جلودِهم كرَشْحِ المسكِ فَيضْمُرُ بطنُهُ**».

فالأطعمةُ والحلوىٰ والتَّجَمُّرُ تستدعي أسبابًا تتمُّ بها، واللهُ سبحانه خالقُ السَّببِ والمُسَبَّبِ، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، لا إلهَ إلا هو، وكذلك جعلَ لهم سبحانه أسبابًا تُصَرِّف الطعامَ من الجُشَاءِ والعَرَقِ الذي يفيضُ من جلودِهم، فهذا سببُ إخراجِه، وذاك سببُ إنضاجِه، وكذلك يجعلُ في أجوافِهم من الحرارةِ ما يَطْبُخُ ذلك الطعامَ ويُلطِّفه، ويهيئه لخروجِه رَشْحًا وجُشَاءً، وكذلك ما هناك من الثمارِ والفواكهِ يخلقُ لها من الحرارةِ ما يُنْضِجُها، ويجعلُ سبحانه أوراقَ الشَّجَرِ ظلالًا، فربُّ الدُّنيا والآخرةِ واحدٌ، وهو الخالقُ بالأسبابِ والحِكَمِ ما يجعله في الدُّنيا والآخرةِ، والأسبابُ مَظْهَرُ أفعالِه وحكمتِه؛ ولكنَّها تختلفُ، ولهذا يقعُ التعجبُ من العبدِ لورودِ أفعالِه سبحانه علىٰ أسبابٍ غير الأسبابِ المعهودةِ المألوفةِ، وربما حمله ذلك علىٰ الإنكارِ والكفْرِ، وذلك محضُ الجهلِ والظلمِ؛ وإلَّا فليست قدرتُه سبحانه وتعالىٰ مقصِّرةً عن أسبابٍ أُخَرَ؛ وَمُسَبِّبَاتٍ ينشئها منها؛ كما لم يُقَصِّرْ في هذا العالمِ المشهودِ عن أسبابِه ومسبباتِه، وليس هذا بأهونَ عليه من ذلك.

ولعلَّ النشأةَ الأولىٰ التي أنشأها الربُّ سبحانه وتعالىٰ فيها بالعِيانِ والمشاهدةِ = أعجبُ من النشأةِ الثانيةِ التي وعدَنا بها إذا تأمَّلَها اللبيبُ، ولعلَّ إخراجَ هذه الفواكهِ والثمارِ من بين هذه التربةِ الغليظةِ، والماءِ والخشبِ والنَّوَىٰ المناسبِ لها = أعجبُ عند العقلِ من إخراجِها من بين تربةِ الجنةِ ومائها وهوائها.

ولعلَّ إخراجَ هذه الأشربةِ التي هي غذاءٌ ودواءٌ وشرابٌ ولذَّةٌ من بين فَرْثٍ ودَمٍ، ومن فِيِّ ذُبَابٍ = أعجبُ من إجرائها أنهارًا في الجنةِ بأسبابٍ أُخَرَ.

ولعلَّ إخراجَ جوهَرَي الذهبِ والفضةِ في عروقِ الحجارةِ من الجبالِ وغيرِها = أعجبُ من إنشائها هناك من أسبابٍ أخرَ، ولعلَّ إخراجَ الحريرِ من لُعَابِ دُوْدِ القَزِّ، وبنائها علىٰ أنفسِها القبابَ البِيْضَ والحُمرَ والصُّفْرَ أحكمَ بناءٍ = أعجبُ من إخراجِه من أكمامٍ تتفتَّقُ عنه شَجَرٌ هناك، قد أُودِعَ فيها، وأنشئ منها.

ولعلَّ جريانَ بحارِ الماءِ بينَ السَّماءِ والأرْضِ علىٰ ظهورِ السَّحَابِ = أعجبُ من جريانِها في الجنَّةِ في غيرِ أخدودٍ.

وبالجملةِ، فتأمَّلْ آياتِ اللهِ التي دعا عبادَه إلىٰ التفكُّرِ فيها، وجعلَها آياتٍ دالةً علىٰ كمالِ قدرتِه، وعِلَّةً في مشيئته وحكمتِه ومُلْكِهِ، وعلىٰ توحُّدِه بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ، ثم وازنْ بينها وبين ما أخبرَ به من أمرِ الآخرةِ والجنَّةِ والنَّارِ = تجدْ هذه أدلَّ شيءٍ علىٰ تلك، شاهدةً لها، وتجدْهما من مشكاةٍ واحدةٍ، وربٍّ واحدٍ، وخالقٍ واحدٍ، وملكٍ واحدٍ، فبُعدًا لقومٍ لا يؤمنون.

٤١ - في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها:

• قال الله تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف:٧١]، فالصِّحَافُ: جمعُ صَحْفَة، قال الكَلْبيُّ: «بقِصَاعٍ من ذَهَبٍ». وقال الليثُ: «الصُّحْفَةُ: قطعةٌ مُسْلَنْطِحَة عريضة».

• وقال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧-١٨]، الأباريقُ: هي الأكوابُ التي لها خراطيمُ، فإنْ لم يكن لها خراطيمُ ولا عُرًىٰ فهي أكوابٌ، وأباريق الجنَّة من الفضة في صفاء القوارير، يُرَىٰ من ظاهرها ما في باطنها، والعربُ تسمىٰ السيف إبريقًا، لَبريق لونه.

• وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:١٥-١٦]، فالقواريرُ: هي الزُّجاجُ، فأخبرَ سبحانه وتعالىٰ عن مادةِ تلك

الآنيةِ أنَّها من الفضةِ، وأنَّها بصفاءِ الزُّجاجِ وشفافَتِه، وهذا من أحسنِ الأشياءِ وأعجبِها، وقطعَ سبحانه توهُّمَ كوْنِ تلك القواريرِ من زجاجٍ، فقالَ: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾، قال مجاهدٌ وقتادةُ ومُقاتلٌ والكلبيُّ والشَّعْبِيُّ: «قواريرُ الجنَّةِ من الفضةِ»، فاجتمعَ لها بياضُ الفضَّةِ وصفاءُ القواريرِ.

• وفي الصحيحين[(١)] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**جنتانِ من ذهب، آنيتُهما وما فيهما، وجنَّتانِ من فِضَّةٍ، آنيتُهما وما فيهما، وما بينَ القوم وبين أن ينظُروا إلىٰ ربهم إلَّا رداءُ الكبرياءِ علىٰ وجهِه في جنَّة عَدْنٍ**».

• وفيهما أيضًا[(٢)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنَّةَ علىٰ صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والذين يَلونَهم علىٰ أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً، لا يبولونَ ولا يتغوَّطونَ ولا يمتخِطُونَ ولا يَتفلونَ، أمشاطُهم الذَّهبُ، ورَشْحُهُمُ المسكُ، ومجامِرُهُم الألوَّةُ، وأزواجهم الحورُ العينُ، أخلاقُهم علىٰ خَلْقِ رَجُلٍ واحد، علىٰ صورةِ أبيهم آدم عليه السلام سِتُّون ذِرَاعًا في السماء**».

• وفي الصحيحين[(٣)] من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تشربوا في آنيةِ الذَّهبِ والفضةِ، ولا تأكلُوا في صِحافِها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرةِ**».

٤٢- في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم:

• قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن

---

(١) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٨٠)، ومسلم (١٨٠).
(٢) البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٣) البخاري (٥٦٣٣)، ومسلم (٢٨٣٤).

سُندُسٍ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان:٥١-٥٣].

• وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾ [الكهف:٣٠-٣١]، وأحسنُ الألوانِ الأخضرُ، وألينُ الملابسِ الحريرُ، فجمعَ لهم بين حُسْنِ منظرِ اللِّباسِ، والْتِذاذِ العينِ به، وبين نعومتِه والتذاذِ الجسمِ به.

• وقال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحج:٢٣].

• وقال تعالىٰ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان:١٢].

• وقال: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ﴾ [الإنسان:٢١]. وتأمَّلْ ما دلَّت عليه لفظةُ ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ من كَوْنِ اللِّباسِ ظاهرًا بارزًا يُجَمِّل ظواهرَهم، ليس بمنزلةِ الشِّعَارِ الباطنِ، بل الَّذي يُلْبَسُ فوقَ الثيابِ للزينةِ والجمالِ.

• وفي صحيح مسلم(١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يَدْخُلُ الجنَّة ينعمُ لا يبأسُ، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابُه، له في الجنةِ ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خطرَ علىٰ قلبِ بشرٍ**». وقوله: «**لا تَبْلىٰ ثيابُه**»: الظاهرُ أنَّ المرادَ به الثِّيابُ المُعَيَّنَةُ لا يلحقُها البِلَىٰ، ويحتملُ: أنْ يرادَ به الجنسُ، بل لا تزالُ عليه الثيابُ الجُددُ، كما أنَّها لا ينقطعُ أكْلُها في جنسِه، بل كلُّ مأكولٍ يَخْلُفُه مأكولٌ آخر، واللهُ أعلم.

• وفي الصحيحين(٢) عن أنس بن مالك قال: أهدىٰ أُكَيْدَرُ دُومَةَ [الجندل] إلىٰ

---

(١) مسلم (٢٨٣٦).
(٢) البخاري (٦٦٤٠)، ومسلم (٢٤٦٨).

النبي ﷺ جُبَّةً من سُنْدُس، فتعجَّب النَّاسُ من حُسنِها، فقال: «**لمناديلُ سَعْدٍ في الجنةِ أحسنُ من هذا**».

ولا يَخفَىٰ ما في ذكرِ سعدِ بن معاذٍ بخصوصِه ها هنا، فإنه كان في الأنصارِ بمنزلة الصِّدِّيقِ في المهاجرين، واهتزَّ لموته العرشُ، وكان لا تأخذه في الله لَوْمَةُ لائمٍ، وختمَ اللهُ له بالشهادةِ، وآثرَ رِضَا الله ورسوله علىٰ رضا قومِه وعشيرتِه وحلفائِه، ووافق حُكْمُه الذي حَكَمَ به حُكْمَ الله فوق سبع سماواتِه، ونعَاهُ جبريلُ إلىٰ النبي ﷺ يومَ موتِه، فَحُقَّ له أن تكون مناديلُه التي يمسح بها يديه في الجنةِ أحسنَ من حُلَلِ الملوك.

• وأمَّا الفُرُشُ فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ [الرحمن:٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤].

• وأمَّا البُسُط والزَّرَابي، فقد قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن:٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:١٣-١٦].

• وأما الرفرف، فقال الليث: هو ضَرْبٌ من الثيابِ خضر تُبسط.

• وأما العبقري، فقال أبو عبيدة: كُلُّ شيءٍ من البُسُطِ عَبْقَرِيٌّ.

وعبقري جمعٌ، واحدُه عبقرية، ولهذا وصف بالجمع، فتأمل كيف وصفَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ الفُرُشَ بأنها مرفوعةٌ، والزَّرَابيَّ بأنها مبثوثةٌ، والنمارقَ بأنها مصفوفةٌ، فَرَفْعُ الفُرُشِ دالٌّ علىٰ سُمْكِها ولِينِها، وبثُّ الزَّرابي دالٌّ علىٰ كثرتِها، وأنها في كُلِّ موضعٍ لا يَخْتَصُ بها صدرُ المجلسِ دون مؤخرِه وجوانبِه، ووصفُ المسانِدِ يدلُّ علىٰ أَنها مهيَّأةٌ للاستناد إليها دائمًا، ليست مخبأةً تُصَفُّ في وقتٍ دونَ وقتٍ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

٤٣- في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم:

* قال الله تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، وفي الصحيحين[(١)] من حديث أبي موسىٰ الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ للمؤمنِ في الجنةِ لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها ستُّونَ ميلاً، فيها أهلونَ يطوفُ عليهم المؤمنُ فلا يرىٰ بعضُهم بعضًا**»، وفي لفظ لهما: «**في الجنة خيمةٌ من لؤلؤة مُجَّوفة عرضها ستُّون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**»[(٢)].

وهذه الخيامُ غيرُ الغُرَفِ والقصورِ، بل هي خيامٌ في البساتين، وعلىٰ شواطئ الأنهارِ.

* **وأما السرر**: فقال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور:٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة:١٣-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣]. فأخبر تعالىٰ عن سُرُرِهم بأنَّها مصفوفةٌ بعضُها إلىٰ جانبِ بعضٍ، ليس بعضُها خلفَ بعضٍ، ولا بعيدًا من بعضٍ، وأخبرَ أنَّها موضونةٌ، والوَضْنُ في لغتِهم: النَّضدُ والنَّسْجُ المضاعَفِ.

* **وأما الأرائكُ**: فهي جمعُ أَرِيكَةٍ، قال مجاهد عن ابن عباس ﴿مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف:٣١] قال: لا يكون أريكةٌ حتىٰ يكون السريرُ في الحَجَلةِ[(٣)]، فإذا كان سريرًا بغير حَجَلَةٍ لا يكون أريكةً، وإن كانت حجَلَةٌ بغير سريرٍ لم تكن أريكةً، ولا تكونُ أريكةً إلا والسريرُ في الحَجَلَةِ، فإذا اجتمعا كانت أريكةً.

---

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٢) البخاري (٤٨٧٩)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٣) **الحَجَلة**: كالقبة، موضع يُزين بالثياب والستور للعروس.

٤٤- في ذكر خدمهم وغلمانهم:

• قال تعالىٰ: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ [الواقعة:١٧-١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ [الإنسان:١٩]. قال أبو عُبَيْدةَ والفرَّاءُ: «مخلَّدون لا يَهرمون، ولا يتغيرون»، قال: والعربُ تقولُ للرجل إذا كَبُرَ ولم يَشْمَطْ: «إنَّهُ لمخلَّدٍ، وإذا لم تَذْهَبْ أسنانُه من الكِبَر، قيل: هو مخلَّدٌ».

وشبَّههم سبحانه باللؤلؤ المنثور؛ لما فيه من البياضِ وحُسْنِ الخَلْقِ، وفي كونِه منثورًا فائدتان:

○ **إحداهما**: الدلالةُ علىٰ أنَّهم غيرُ معطَّلين، بل مَبْثوثون في خدمتِهم وحوائجِهم.

○ **والثاني**: أنَّ اللؤلؤَ إذا كان منثورًا، ولا سيما علىٰ بِساطٍ من ذَهَبٍ أو حريرٍ؛ كان أحسنَ لمنظرِه وأبهىٰ من كونِه مجموعًا في مكانٍ واحدٍ.

• وَعن **أبي سعيد** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ ماتَ من أهل الجنة من صغيرٍ أو كبيرٍ يُرَدُّونَ بَنِيَّ ثلاثٍ وثلاثين سنة في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهلُ النار»**[(١)].

والأشبه أنَّ هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدمًا لهم وغلمانًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [الطور:٢٤] وهؤلاء غير أولادهم، فإنَّ من تمام كرامة الله تعالىٰ لهم أن يجعلَ أولادهم مخدومين معهم، لا يجعلهم غلمانًا لهم.

(١) الترمذي (٢٥٦٢)، وقال: حديث غريب.

• وفي حديث أنس عن النبي ﷺ: «**أنا أوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إذا بُعِثُوا**»، وفيه: «**يطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهم لؤلؤٌ مكنُون**»(١)، والمكنونُ: المستورُ المصونُ الذي لم تبتذله الأيادي، وإذا تأملت لفظةَ الولدانِ، ولفظةَ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، واعتبرتها بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾، وضممت ذلك إلىٰ حديث أبي سعيد المذكور آنفًا علمتَ أنَّ الولدانَ: غلمانٌ أنشأهم الربُّ تعالىٰ في الجنةِ خَدَمًا لأهلها، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

٤٥ - في ذكر نسائهم وسراريهم وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه:

* قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]، فتأمل جلالةَ المبشِّرِ، ومنزلتَهُ، وصِدْقَهُ، وعظمةَ مَنْ أرسلَه إليكَ بهذهِ البشارةِ، وقَدْرَ ما بَشَّركَ به، وضَمِنَهُ لك علىٰ أسهلِ شيءٍ عليك، وأيسره.

وجمعَ سبحانَهُ في هذه البشارةِ بينَ نعيمِ البدنِ بالجنانِ، وما فيها مِنَ الأنهارِ والثمارِ، ونعيمِ النفسِ بالأزواجِ المطهَّرةِ، ونعيمِ القلبِ وقرَّةِ العينِ بمعرفةِ دوامِ هذا العيشِ أبدَ الآبادِ، وعدمِ انقطاعِه.

والأزواجُ: جمعُ زوجٍ، والمرأةُ زوجُ الرجلِ وهو زوجها، هذا هو الأفصح، وهو لغة قريش، وبها نزل القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ

(١) الترمذي (٣٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥١-٥٦] فجمع لهم بين حُسْنِ المنزلِ وحصولِ الأمنِ فيه من كلِّ مكروهٍ، واشتمالِه على الثمارِ والأنهارِ، وحسنِ اللباسِ، وكمالِ العشرةِ؛ لمقابلةِ بعضِهم بعضًا، وتمامِ اللَّذَّةِ بالحورِ العينِ، ودعائِهم بجميعِ أنواعِ الفاكهةِ، مع أمنِهم من انقطاعِها ومضرتِها وغائلتِها، وختامَ ذلك أعلَمَهم بأنهم لا يذوقونَ هناك موتًا.

والحورُ: جَمْعُ حَوْرَاء، وهي المرأةُ الشابّةُ، الحسناءُ، الجميلةُ، البيضاءُ، شديدةُ سوادِ العينِ.

* وقوله تعالىٰ: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان:٥٤]، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجًا كما يُزَوَّجُ النعلُ بالنعلِ، جعلناهم اثنين اثنين.

* وقال الله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٦-٥٨]. وصفهنَّ سبحانه بِقِصَرِ الطَّرْفِ في ثلاثةِ مواضعَ:

○ **أحدها**: هذا.

○ **والثاني**: قوله تعالىٰ في الصافات: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [آية:٤٨].

○ **والثالث**: قوله تعالىٰ في ص: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ [آية:٥٢].

والمفسرون كلُّهم على أنَّ المعنىٰ: قَصَرْنَ طَرْفَهنَّ علىٰ أزواجِهنَّ، فلا يَطْمَحْنَ إلىٰ غيرِهم.

* وقال تعالىٰ في وصفهن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، المقصوراتُ: المحبوساتُ.

* **قال تعالىٰ:** ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠]. فالخيرات جمع خَيْرَةٍ، وهي مُخَفَّفة من خيِّرة، كَسَيِّدة ولَيِّنة. وحسان: جمع حسنة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه.

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٣٥-٣٨]. أعاد الضميرَ إلىٰ النساءِ، ولم يَجْرِ لهنَّ ذِكْرٌ؛ لأنَّ الفُرُش دلَّتْ عليهنَّ، إذ هي محلُّهنَّ.

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣١-٣٣]، فالكواعبُ: جَمْعُ كاعبٍ، وهي الناهِدُ.

* وروىٰ البخاري في صحيحه[(١)] عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَغَدْوةٌ في سبيلِ اللهِ أَو رَوْحةٌ خيرٌ من الدُّنيا ومَا فيها، ولقَابُ قوسِ أحدِكُم، أو موضعُ قيدِه** - يعني سوطه - **من الجنةِ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولو اطَّلَعَت امرأةٌ من نساءِ أهلِ الجنَّةِ إلىٰ الأرضِ لملأتْ ما بينهما ريحًا، ولأضاءتْ ما بينهما، ولَنَصِيفُها علىٰ رأسها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها**».

* وفي الصحيحين[(٢)] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «**إنَّ أوَّلَ زمرةٍ تَدْخُلُ الجنَّةَ علىٰ صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، والتي تليها علىٰ أضوأِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ ولكلِّ امرئٍ منهم زوجتان، يُرىٰ مُخُّ سوقهما من وراءِ اللحمِ، وما في الجنة عَزَب**».

ولا ريبَ أنَّ للمؤمنِ في الجنةِ أكثرَ مِنَ اثنتينِ، لما في الصحيحين[(٣)] من حديث أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال

---

(١) البخاري (٢٧٩٦)، ومسلم (١٨٨٠).
(٢) البخاري (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٣) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للعبدِ المؤمنِ في الجنةِ لخيمةً مِنْ لُؤْلُؤةٍ مجوَّفةٍ طولُها ستونَ ميلًا، للعبد المؤمن فيها أهلون، فيطوفُ عليهم لا يرىٰ بعضهم بعضًا».

٤٦- في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة، ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف، وأنه لا يوجب غسلا:

• في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتَّفق علىٰ صحته[(١)]: «إنَّ للمؤمن في الجنة خيمةً من لؤلؤة واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها ستُّون ميلًا، له فيها أهلون يطوفُ عليهم».

• وحديث أنس: «يُعطىٰ المؤمنُ في الجنة قُوَّة كذا وكذا من الجماعِ»[(٢)].

• وروىٰ الحاكم: عن الأوزاعي في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥] قال: شَغَلَهُم افتضاضُ الأبكارِ.

وأكملُ الناسِ فيه أصونُهم لنفسه في هذه الدار عن الحرامِ، فكما أن مَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا لم يشربها في الآخرةِ، ومن لَبِسَ الحريرَ في الدنيا لم يَلْبَسْه في الآخرةِ، ومَنْ أَكَلَ في صحافِ الذهبِ والفضةِ في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرةِ كما قال النبي ﷺ: «إنَّها لَهُم في الدُّنيا ولكُم في الآخرةِ»[(٣)].

فَمَنْ اسْتَوفىٰ طيِّباتِه ولذَّاتِه وأذهبَهَا في هذه الدارِ حُرِمَها هناك، كما نَعَىٰ سبحانه وتعالىٰ علىٰ مَنْ أذهبَ طيباتِه في الدنيا واستمتعَ بها، ولهذا كان الصحابةُ ومَنْ تَبِعَهُم يخافونَ من ذلك أشدَّ الخوفِ.

ومن ترك اللَّذَّة المحرَّمة لله استوفاها يوم القيامةِ أكملَ ما تكونُ، ومَنِ استوفاها هنا حُرِمَها هناك أو نَقُصَ كمالُها، فلا يجعلُ الله لذَّةَ من أوضع في معاصيه

---

(١) البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

(٢) الترمذي (٢٥٣٦)، وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) البخاري (٥٨٣١).

ومحارمه، كلذَّةِ مَنْ تركَ شهوتَهُ للهِ أبدًا.

٤٧- في ذكر سماع الجنة، وغناء الحور العين، وما فيه من الطرب واللذة:

* قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٤-١٥].

عن عامر بن يساف، قال: سألتُ يحيىٰ بن أبي كثير عن قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم:١٥] قال: الْحَبْرَةُ: اللَّذَّةُ والسماع.

ولا يخالف هذا قول ابن عباس: يُكرمون.

وقال: مجاهد وقتادة: يُنَعَّمون.

فلذَّة الأُذُنِ بالسماعِ من الْحَبْرَةِ والنَّعيمِ.

* وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أزواجَ أهلِ الجنة ليغنينَ أزواجهنَّ بأحسنِ أصواتٍ ما سمِعَها أحدٌ قطّ، إنَّ مِمَّا يغنين به: نحنُ الخيراتُ الحِسَانُ، أزواجُ قومٍ كرام، ينظرن بقُرَّةِ أعيان، إنَّ ممَّا يُغَنِّينَ به: نحنُ الخالداتُ فلا نُمتْنَه، نحن الآمناتُ فلا نَخفْنَه، نحنُ المقيماتُ فلا نظْعَنَّه**»[1].

ولهم سماعٌ أعلىٰ من هذا، يَضْمَحِلُّ دونه كُلُّ سماعٍ، وذلك حين يسمعونَ كلامَ الرَّبِّ جلَّ جلالُه، وخطابَه، وسلامَه عليهم، ومحاضرتَه لهم، ويقرأ عليهم كلامَهُ، فإذا سمعُوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك، وسيمرُّ بك ـ أيها السُّنِّيُّ ـ من الأحاديثِ الصِّحاحِ والحِسانِ في ذلك ما هو من أحبّ سماعٍ لك في الدنيا، وألذُّه لأذنك، وأقرُّه لعينك، إذ ليس في الجنة لذَّة أعظم من النظرِ إلىٰ وجهِ الرَّبِّ تعالىٰ وسماع كلامه منه، ولا يُعطىٰ أهلُ الجنة شيئًا أحبّ إليهم من ذلك.

---

(١) الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٥٩-٢٦٠).

٤٨- في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم:

• **عن سليمان بن بُرَيْدة، عن أبيه** أنَّ رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! هل في الجنةِ من خيلٍ؟ قال: «**إِنْ أَدْخَلَكَ اللهُ الجنَّةَ، فلا تَشَاءُ أن تُحْمَلَ فيها على فرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ يطيرُ بك في الجنة حيثُ شئتَ إلا فعلت**»، قال: وسأله رجلٌ فقال: يا رسولَ الله هل في الجنةِ من إبلٍ؟ قال: فَلَمْ يَقُل ما قالَ لصاحبِه، قال: «**إنْ يدخلْك اللهُ الجنَّةَ يكنْ لكَ فيها ما اشتَهتْ نفسُكَ ولذَّتْ عينُك**»[(١)].

• وعن عبد الله بن عمرو قال: في الجنة عتاقُ الخيل وكرائمُ النجائب يركبها أهلها[(٢)].

٤٩- في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضا، وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا:

* **قال تعالىٰ:** ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات:٥٠-٥٧] أخبر سُبحانه وتعالىٰ أنَّ أهلَ الجنة أقبلَ بعضُهم علىٰ بعضٍ يتحدَّثُونَ، ويسألُ بعضُهم بعضًا عن أحوالٍ كانت في الدنيا، فأفضتْ بهم المحادثةُ والمذاكرةُ إلىٰ أنْ قال قائل منهم: كان لي قرين في الدنيا يُنْكِرُ البعثَ والدَّارَ الآخرة، ويقولُ ما حكاهُ اللهُ عنه، يقول: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بأنَّا نُبعث، ونُجازَىٰ بأعمالنا، ونُحاسَبُ بها بعد أن مَزَّقَنا البِلَىٰ ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾؟ ثم يقول المؤمنُ لإخوانه في الجنةِ ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ في النارِ لننظُرَ منزلةَ قريني هذا وما صار إليه، هذا أظهرُ الأقوال.

---

(١) **الترمذي** (٢٥٤٣)، **وأحمد** (٢٣٤٤٨).

(٢) **عتاق الخيل**: جمع عتيق، وهو الكريم الرائع. **النجائب**: جمع نجيبة ونجيب، وهو الكريم الأصيل من كل حيوان.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٥-٢٨].

فأهلُ الجنَّةِ يتزاورون فيها، ويستزيرُ بعضُهم بعضًا، وبذلك تَتِمُّ لذَّتُهم وسرورُهم، ولهذا قال حارثةُ للنَّبيِّ ﷺ وقد سألهُ: «**كيف أصبحتَ يا حارثةُ**؟ قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا، قال: **إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقةً، فما حقيقةُ إيمانِك**؟ قال: عزَفتْ نفسي عن الدُّنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلىٰ عرشِ ربي بارزًا، وإلىٰ أهلِ الجنَّة يتزاورون فيها، وإلىٰ أهل النَّارِ يُعَذَّبون فيها، فقال: **عبدٌ نوَّر اللهُ قلبَه**».

ولهم زيارةٌ أخرىٰ أعلىٰ من هذه وأجلُّ، وذلك حين يزورون ربَّهم تبارك وتعالىٰ، فيريهم وجهَه، ويُسْمعهم كلامَه، ويحلُّ عليهم رضوانَه. وسيمرُّ بك ذكر هذه الزيارةِ عن قريبٍ، إنْ شاء اللهُ تعالىٰ.

٥٠- في ذكر سوق الجنة، وما أعد الله فيه لأهلها:

• قال مسلم في صحيحه[(١)] عن أنس بن مالك، أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنة لسوقًا، يأتُونها كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ ريحُ الشَّمال فَتَحْثُو في وجوهِهم وثيابِهم، فيزدادون حُسْنًا وجمالًا، فيرجعونَ إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا حُسْنًا وجمالًا، فيقولُ لهم أهلوهم: واللهِ لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم واللهِ لقد ازددتم بعدنا حُسْنًا وجمالًا**».

• وروىٰ الإمامُ أحمدُ في مسندِه[(٢)] عن عفَّانَ، عن حَمّاد بن سلمة به، وقال:

---

(١) مسلم (٢٨٣٣).
(٢) أحمد (٦/ ٢٩٧٢).

«فيها كثبانُ المسكِ، فإذا خرجوا إليها هبَّتِ الرِّيحُ».

٥١- في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها:

● قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان:٢٠].

● وفي صحيح مسلم(١) من حديثِ المغيرةِ بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «سأل مُوسىٰ ربَّه: ما أدنىٰ أهلِ الجَنَّةِ منزلةً؟ قال: هو رَجُلٌ يجيءُ بعدما أُدْخِلَ أهلُ الجنةِ الجنَّة فيُقالُ له: ادْخُلِ الجنةَ، فيقول: أيْ ربِّ كيفَ وقد نَزلَ النَّاسُ منازِلَهُمْ وأخذوا أَخَذَاتِهِم؟ فيُقال له: أترضىٰ أن يكونَ لك مِثْلُ مُلْكِ ملكٍ من ملوكِ الدُّنيا؟ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، فيقول له: لَكَ ذلك ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ ومِثْلُهُ، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: هذا لك وعَشَرَةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك ولذَّتْ عينُك، فيقولُ: رضيتُ ربِّ».

٥٢- في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخلد، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها:

* قال تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧] وتأمَّل كيف قابلَ ما أخفوْهُ من قيامِ الليلِ بالجزاءِ الذي أخفاهُ لهم مما لا تعلمُه نفسٌ، وكيف قابلَ قَلَقَهُم وخوفَهم واضطرَابهم علىٰ مضاجعِهم حين يقوموا إلىٰ صلاةِ الليلِ بِقُرَّةِ الأعينِ في الجنةِ.

* وفي الصحيحين(٢) من حديثِ أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أعددتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلب بَشَرٍ، مصداق ذلك في كتابِ اللهِ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا

---

(١) مسلم (١٨٩).
(٢) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]».

* وفيهما[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ مما طلعتْ عليه الشَّمْسُ أو تغربُ**».

* وفي حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: «**ألا مُشَمِّرٌ للجنةِ، فإنَّ الجنَّةَ لا خَطَرَ لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأُ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مطَّردٌ، وثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حَسْنَاءُ جميلةٌ، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في أبدٍ في دارٍ سليمةٍ وفاكهةٍ وخُضْرةٍ وحَبْرةٍ ونَعْمَةٍ في مَحلَّةٍ عاليةٍ بَهِيَّةٍ**»[(٢)].

فحيّ على جناتِ عَدْنٍ فإنَّها ** منازلُك الأُولَى وفيها المخيَّمُ
ولكنَّنا سبيُ العدوِ، فهل ترى ** نَعودُ إلى أوْطَانِنَا ونسلمُ؟!

٥٣- في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى وتجليه لهم ضاحكا إليهم:

هذا البابُ أشرفُ أبوابِ الكتابِ، وأجلُّها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرُّها لعيونِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ، وأشدُّها على أهلِ البدعةِ والفُرقةِ، وهي الغايةُ التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافسَ فيها المتنافسون، وتسابقَ إليها المتسابقون، ولمثلِها فليعمل العاملون، إذا ناله أهلُ الجنَّة نَسُوا ما هم فيه من النعيمِ، وحِرْمانُه والحجابُ عنه لأهلِ الجحيم أشدُّ عليهم من عذابِ الجحيمِ، اتَّفقَ عليها الأنبياءُ والمرسلونَ، وجميعُ الصحابة والتابعون، وأئمةُ الإسلامِ على تتابعِ القرونِ، وأنكرَها أهلُ البدعِ المارقون، والجهميةُ المتهوِّكون، والفرعونيةُ المبطلون، والباطنيةُ الذين هم من جميعِ الأديانِ منسلخون، والرَّافضةُ الذين هم بحبائلِ الشيطانِ مُتمسِّكون، ومن حبلِ اللهِ منقطعون، وعلى مسبَّةِ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ

(١) البخاري (٢٧٩٣)، ومسلم (١٨٨٢).
(٢) ابن ماجه (٤٣٣٢).

عاكفون، وللسُّنَّةِ وأهلِها محاربون، ولكلِّ عدوٍّ للهِ ورسولِه ودينِه مسالمونَ، وكلُّ هؤلاء عن ربِّهم محجوبون، وعن بابِه مطرودون، أولئك أحزابُ الضَّلالِ، وشيعةُ اللَّعينِ، وأعداءُ الرسولِ وحزبِه.

• في الصحيحين[(١)] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«هل تضارُّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تُضَارُّون في رؤية الشمسِ ليس دونها سحابٌ؟»** قالوا: لا، قال: **«فإنكم ترونه كذلك، يجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ مَنْ كان يعبدُ شيئًا فليتبعه، فيتبعُ من كان يعبدُ الشَّمسَ الشمسَ، ويتبعُ من كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقىٰ هذه الأمَّةُ فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالىٰ في صورةٍ غير صورتِه التي يعرفونَ، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيأتيهم الله عَزَّوَجَلَّ في صورتِه التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنتَ ربُّنا فيتبعونه، ويُضْرَبُ الصِّراطُ بين ظهراني جهنَّم فأكونُ أنا وأمتي أوَّلَ مَنْ يُجيز، ولا يتكلَّم يومئذٍ إلَّا الرُّسُلُ، ودعوىٰ الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم.**

وفي جهنَّم كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعدانِ، هل رأيتم السَّعدانَ؟» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: **«فإنَّها مثلُ شوكِ السعدانِ، غير أنه لا يعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، تخطفُ الناس بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله، ومنهم المجازَىٰ حتىٰ ينجو».**

فإذا فرغَ اللهُ من القضاءِ بين العبادِ، وأراد أن يُخْرِجَ برحمته مَنْ أراد من أهل النار أَمَرَ الملائكةَ أن يُخْرِجُوا من النارِ من كان لا يشرك بالله شيئًا ممَّن أرادَ اللهُ أن يرحمه ممن يقول لا إله إلَّا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، تأكلُ النَّارُ من ابن آدم إلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حرَّم الله علىٰ النارِ أن تأكلَ أثرَ السُّجودِ، فيخرجون من النار، قد

---

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

امتُحِشُوا فَيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ، فينبتونَ كما تنبت الحبّةُ في حَميل السَّيْل.

ثم يَفرغُ اللهُ من القضاءِ بين العبادِ، ويبقىٰ رجلٌ مُقبلٌ بوجهه علىٰ النارِ، وهو آخرُ أهلِ الجنة دخولاً الجنةَ، فيقول: أي ربِّ اصرفْ وجهي عن النار، فإنه قد قَشَبَني ريحُها، وأحرقني ذكاؤُها، فيدعو اللهَ ما شاءَ أن يدعوَه، ثم يقولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ: هل عسيتَ إِنْ فعلتُ ذلك أن تسألَ غيرَه، فيقول: لا أسألُك غيره، فيُعطي ربَّه من عهودٍ ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهَه عن النار، فإذا أقبلَ علىٰ الجنة ورآها سكت ما شاء اللهُ أن يسكتَ، ثم يقول: أي ربِّ قدِّمني إلىٰ بابِ الجنةِ، فيقول اللهُ أليس قد أعطيتَ عهودكَ ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتُك؟ ويلك يا ابنَ آدَم ما أغْدَرك!! فيقول: أي ربِّ فيدعو الله حتىٰ يقول له: فهل عسيتَ إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزَّتك، فَيُعْطِي ربَّه ما شاء الله من عهودٍ ومواثيق، فيقدمه إلىٰ باب الجنة فإذا قام علىٰ بابِ الجنةِ انفَهَقَت له الجنةُ، فرأىٰ ما فيها من الخيرِ والسرورِ، فسكت ما شاءَ الله أن يسكتَ، ثم يقولُ: أي ربِّ أدخلني الجنة، فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: أليس قد أعطيتَ عهودك ومواثيقَك أَنْ لا تسألَ غير ما أعطيت، ويلكَ يا ابن آدم ما أغدرك؟ فيقول: أي ربِّ لا أكون أشقىٰ خلقِك، فلا يزال يدعو الله حتىٰ يضحكَ الله منه، فإذا ضحكَ اللهُ منه قال: ادخل الجنَّةَ، فإذا دخلها قال الله له: تمنَّه، فيسأل ربَّه ويتمنىٰ حتىٰ إن الله ليذكِّره، فيقول: تمنَّه كذا وكذا، حتىٰ إذا انقطعت به الأماني قال الله عَزَّوَجَلَّ: ذلك لك ومثله معه».

قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «وذلك الرجلُ آخرُ أهلِ الجنةِ دخولًا الجنةَ».

● وعن جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلىٰ القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «إنَّكم سترونَ ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضامُّون في رؤيتِه، فإنِ استطعتم أَنْ لَا تُغلبوا علىٰ صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ الغروبِ فافعلوا»، ثم

قرأ قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩][١].

٥٤- في تكليمه سبحانه لأهل الجنة، وخطابه لهم، ومحاضرته إياهم، وسلامه عليهم:

* قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران:٧٧].

وقال في حقِّ الذين يكتمونَ ما أنزلَ اللهُ مِنَ البيناتِ والهدىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة:١٧٤].

وقد أخبرَ سبحانه أنه يُسلِّم علىٰ أهلِ الجنةِ وأنَّ ذلك السلامَ حقيقةٌ، وهو قولٌ من ربٍّ رحيمٍ.

* وفي حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سوق الجنة وهو قول النبي ﷺ: «**ولا يبقىٰ أحدٌ في ذلك المجلسِ إلَّا حاضَرَهُ اللهُ محاضرةً، فيقول: يا فلانُ أتذكرُ يومَ فعلتَ كذا وكذا**»[٢] الحديث.

وبالجملة فتأمَّل أحاديثَ الرؤية تجدْ في أكثرها ذكر التكليم.

* **قال البخاري في صحيحه باب**: «كلام الرب تبارك وتعالىٰ مع أهل الجنة»، وساق فيه عدة أحاديث: فأفضلُ نعيمِ أهلِ الجنة رؤيُة وجهِهِ تباركَ وتعالىٰ وتكليمُهِ لهم. فإنكارُ ذلك إنكارٌ لرَوْحِ الجنَّة، وأعلىٰ نعيمِها وأفضلِه، الَّذي ما طابت لأهلِها إلَّا به، واللهُ المستعان.

---

(١) البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).
(٢) الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦).

٥٥- في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد:

هذا مما يُعلمُ بالاضطرارِ أن الرسولَ ﷺ أخبر به.

• قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي غيرُ مقطوعٍ.

• **وقد أكَّدَ الله سُبحانه خلودَ أهلِ الجنةِ بالتأبيد** في عِدَّةِ مواضع من القرآنِ، وأخبرَ أنهم لا يذوقون فيها الموتَ إلَّا الموتةَ الأولىٰ وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلىٰ الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ تبيَّن لك المراد من الآيتين واستثناء الوقتِ الذي لم يكونوا فيه في الجنةِ من مدةِ الخلودِ كاستثناءِ الموتةِ الأولىٰ من جملةِ الموتِ، فهذه موتةٌ تَقدَّمت علىٰ حياتِهم الأبديةِ وذاك مفارقةٌ للجنَّة تقدَّم علىٰ خلودهِم فيها وبالله التوفيق.

• **وفي قولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ يَدْخُلِ الجنةَ يَنْعَمُ ولا يَبؤس، ويخلدُ لا يموت»**[(١)]، وقوله: **«يُنادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ: إن لكم أن تَصِحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا»**[(٢)].

• وثبت في الصحيحين[(٣)] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: **«يُجاء بالموتِ في صُورةِ كبشٍ أمْلَحَ، فيُوقفُ بين الجنةِ والنارِ، ثم يُقال: يا أهلَ الجنَّة فيطَّلعونَ مشفقينَ، ويُقالُ: يا أهلَ النَّارِ فيطَّلعونَ فرحِينَ، فيُقالُ: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، فيُذبحُ بين الجنةِ والنارِ، ثم يقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موت، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موت»**.

---

(١) مسلم (٢٨٣٦).
(٢) مسلم (٢٨٣٧).
(٣) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

٥٦- في ذكر آخر أهل الجنة دخولا إليها:

* في الصحيحين[(١)] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنِّي لأعلمُ آخرَ أهلِ النارِ خُروجًا منها، وآخرَ أهلِ الجنةِ دُخُولًا الجنة، رجلٌ يَخْرُجُ من النارِ حَبْوًا، فيقول الله له: اذْهَبْ فادخلِ الجنة، فيأتيها فيُخيَّلُ إليه أنها ملأىٰ، فيرجعُ فيقول: يا ربِّ وجدتُها ملأىٰ، فيقول الله له: اذهبْ فادخلِ الجنة، قال: فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أنها ملأىٰ، فيرجعُ فيقولُ: يا ربِّ وجدتُها ملأىٰ، فيقول الله له: اذهبْ فادخلِ الجنَّة فإنَّ لك مثلَ الدنيا وعشرةَ أمثالها، أو إنَّ لك عشرةَ أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي أو تضحكُ بي وأنت المِلكُ؟» قال: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضحكَ حتىٰ بدت نواجذُه، قال: فكان يقول: «ذلك أَدْنَىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً».

* وفي صحيح مسلم[(٢)] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلمُ آخرَ أهلِ الجنةِ دُخولًا الجنةَ، وآخرَ أهلِ النارِ خُروجًا منها، رجلٌ يُؤْتَىٰ به يومَ القيامةِ فيُقال: اعْرِضُوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا كِبَارها، فَتُعْرَضُ عليه صِغَارُ ذنوبِه فيقال: عَمِلْتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعَمِلْتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيعُ أن يُنْكِرَ، وهو مُشْفِقٌ من كِبارِ ذنوبِه أن تُعْرَضَ عليه، فيقال له: فإنَّ لك مكانَ كُلِّ سيئةٍ حَسَنةً، فيقول: ربِّ قد عملتُ أشياء لا أَرَاها هاهنا!» فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِكَ حتىٰ بَدَتْ نَواجِذُهُ.

* وفي صحيح مسلم[(٣)] من حديث المغيرة بن شُعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «سأل موسىٰ ربَّه: ما أدنىٰ أهلِ الجنَّةِ منزلةً؟ فقال: هو رَجُلٌ يجيءُ بعد ما دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّة فيُقال له: ادْخُلِ الجنة، فيقول: أيْ ربِّ كيف؟ وقد نزل

(١) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).
(٢) مسلم (١٩٠).
(٣) مسلم (١٨٩).

الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضىٰ أن يكونَ لك مِثْلُ مُلكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيُقال: لك ذلك، ومِثْلُه ومثلُه ومثلُه ومثلُه، فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: لك هذا وعَشَرَةُ أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك، ولذَّت عينُك، فيقول: رضيتُ ربِّ قال: فأعلاهم منزلةً؟ قال: ذلك الذي أَرَدْتُ، غرست كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلم تَرَ عَيْنٌ، ولم تسمعْ أُذُن، ولم يَخْطُرْ علىٰ قلبِ بشرٍ» ومصداقُه في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧].

٥٧- باب جامع فيه فصول منثورة لم يذكر فيما تقدم من الأبواب:

فصل في احتجاج الجنَّة والنَّارِ:

في الصحيحين من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «احتجت النَّارُ والجنَّةُ فقالت هذه: يَدْخُلني الجبَّارون والمتكبِّرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاءُ والمساكينُ، فقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لهذه: أنت عذابي أعذِّبُ بك مَنْ أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي أرحمُ بك مَنْ أشاء، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها».

وفي روايةٍ أخرىٰ: «تحاجت النَّارُ والجنَّة، فقالت النَّار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنَّة: فمالي لا يدخلني إلَّا ضعفاءُ النَّاس وسَقَطُهُمْ وعَجَزُهم. فقال اللهُ سبحانه للجنَّةِ: أنتِ رحمتي أرحمُ بك مَنْ أشاءُ من عبادي، وقال للنَّارِ: أنت عذابي أعذِّبُ بك مَنْ أشاءُ من عبادي، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأمَّا النَّارُ فلا تمتلئ حتَّىٰ يضعَ قَدَمَهُ عليها فتقولُ: قطْ قطْ، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضُها إلىٰ بعضٍ، ولا يظلمُ اللهُ من خلقِه أحدًا، وأمَّا الجنَّة فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُنْشِئُ لها خلقًا».

فصل في أن الجنةَ يبقىٰ فيها فضلٌ، فيُنشئُ اللهُ لها خَلْقًا دونَ النارِ:

في الصحيحين[١] عن أنس بن مالك، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَزَالُ جهَنَّمُ يُلْقَىٰ فيها وتقولُ: هل من مزيدٍ، حتىٰ يضعَ ربُّ العزةِ فيها قَدَمَهُ، فينزوي بعضُها إلىٰ بعضٍ، وتقول قَطْ قَطْ، بعزَّتك وكرمك، ولا يزالُ في الجنة فضلٌ حتَّىٰ يُنشئ اللهُ لها خَلْقًا فَيُسْكِنَهم الجنة».

فصل: في امتناع النوم علىٰ أهل الجنة:

عن جابر قال: سُئِلَ نَبيُّ الله ﷺ فقيل: أينامُ أهلُ الجنةِ؟ فقال النبي ﷺ: «النَّومُ أخو الموت وأهلُ الجنةِ لا ينامون»[٢].

فصل في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجةٍ إلىٰ درجةٍ أعلىٰ منها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله ليرفعُ الدَّرجةَ للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربِّ أنَّىٰ لي هذه؟ فيقول: باستغفارِ ولدِك لك»[٣].

فصل في إلحاق ذُرِّيَّةِ المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور:٢١].

فصل في أن الحورَ العين يَطْلُبْنَ أزواجهُنَّ أكثر مما يَطْلُبُهُنَّ أزواجهُنَّ:

في حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقَولِ الحوراء لامرأته في الدنيا: «لا تؤذيه فيوشك أن يُفارِقَك إلينا»[٤].

---

(١) البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).
(٢) أخرجه الديلمي في «الفردوس» مطولًا (٦٩٠٧)، والبزار (٣٥١٧) مختصرًا.
(٣) أحمد (٢/ ٢١٨٥).
(٤) الترمذي (١١٧٤)، وأحمد (١٠/ ٥١٨٩).

فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فيوقفُ بين الجنَّةِ والنَّارِ، فيقالُ: يا أهلَ الجنَّةِ، هل تعرفون هذا؟ فيشرئِبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموتُ. قال: ثم يُقالُ: يا أهلَ النَّارِ، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموتُ، قال: فيؤمر به فيُذبحُ، قال: ثم يُقالُ: يا أهلَ الجنةِ خُلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النَّارِ خلودٌ فلا موتَ.** ثم قرأ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» متفق عليه[١].

وهذا الكَبْشُ، والإضجاعُ، والذَّبْحُ، ومعاينةُ الفريقين ذلك = حقيقةٌ لا خيالٌ ولا تمثيلٌ، كما أخطأ فيه بعضُ النَّاسِ خطأً قبيحًا، وقال: الموتُ عَرَضٌ، والعَرَضُ لا يتجسَّمُ فضْلًا عن أنْ يُذبحَ. وهذا لا يصحُّ؛ فإنَّ اللهَ سبحانه يُنْشِئُ من الموتِ صورةَ كَبْشٍ يُذْبَحُ، كما يُنْشِئُ من الأعمالِ صورًا مُعَاينةً يُثَابُ بها ويُعاقَبُ، واللهُ تعالىٰ يُنْشِئُ من الأعراضِ أجسامًا تكونُ الأَعراضُ مادَّةً لها، ويُنشئُ من الأجسامِ أعراضًا، كما يُنشئُ سبحانه من الأعراضِ أعراضًا، ومن الأجسامِ أجسامًا.

فالأقسامُ الأربعةُ ممكنةٌ مقدورةٌ للرَّبِّ تعالىٰ، ولا يستلزمُ جمعًا بين النقيضين، ولا شيئًا من المُحَالِ، ولا حاجةَ إلىٰ تَكَلُّفِ من قال: إنَّ الذَّبْحَ لملَكِ الموتِ. فهذا كلُّه من الاستدراكِ الفاسدِ علىٰ اللهِ ورسولِه، والتأويلِ الباطلِ الَّذي لا يُوجِبُه عقلٌ ولا نقلٌ، وسببُه قِلَّةُ الفَهْمِ لمرادِ الرسولِ ﷺ من كلامِه، فظنَّ هذا القائلُ أنَّ لفظَ الحديثِ يدلُّ علىٰ أنَّ نَفْسَ العَرَضِ يُذبحُ.

---

(١) البخاري (٤٤٥٣)، ومسلم (٢٨٤٩).

فصل في تذاكر أهلِ الجنَّةِ ما كان بينهم في دارِ الدُّنيا:

قال تعالىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥٠ - ٥١]، وقد تقدم الكلام عليها.

وقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور:٢٥ - ٢٧].

وإذا تذاكروا ما كان بينهم، فتذاكرُهم فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدُّنيا من مسائلِ العلمِ، وفَهْمِ القرآنِ والسنةِ، وصِحَّةِ الأحاديثِ = أولىٰ وأحرىٰ، فإنَّ المذاكرةَ في الدنيا في ذلك ألذُّ من الطعامِ والشرابِ والجماعِ، فتذاكرُ ذلك في الجنَّةِ أعظمُ لذَّةٍ، وهذه لذَّةٌ يختصُّ بها أهلُ العلمِ، ويتميزون بها علىٰ مَنْ عَدَاهم. والله المستعان.

٥٨- في ذكر المستحق لهذه البشارة دون غيره:

* قال الله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة:٢٥].

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٧-١٨].

** وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة:٢٠-٢٢].

* وقالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورىٰ:٢٢-٢٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:١١].

وهذا في القرآنِ كثيرٌ، مدارُه علىٰ ثلاثِ قواعدَ:

- إيمانٍ.
- وتقوىٰ.
- وعملٍ خالصٍ لله علىٰ موافقةِ السنةِ.

فأهلُ هذه الأصولِ الثلاثةِ هم أهلُ البشرىٰ دون مَنْ عداهم مِنْ سائرِ الخلقِ، وعليها دارت بشاراتُ القرآنِ والسنةِ جميعها، وهي تجتمعُ في أصلين:

- إخلاصٍ في طاعةِ الله.
- وإحسانٍ إلىٰ خلقه.

وضدّها يجتمعُ في الذين يُراؤون ويمنعون الماعون، وترجع إلىٰ خصلةٍ واحدةٍ وهي موافقةُ الربِّ سبحانه وتعالىٰ في محابِّه، ولا طريق إلىٰ ذلك إلَّا بتحقيقِ القدوةِ ظاهرًا وباطنًا برسول الله ﷺ.

وأما الأعمالُ التي هي تفاصيل هذا الأصل: فهي بضعٌ وسبعونَ شعبة، أعلاها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذىٰ عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها إلىٰ تصديقِ الرسولِ في كل ما أخبرَ به، وطاعتُه في جميعِ ما أمرَ به إيجابًا واستحبابًا؛ كالإيمان بأسماء الرَّبِّ وصفاتِه وأفعالِه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، بل كما قال الشافعي رحمه الله: الحمدُ لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه.

٥٩- [في جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها]:

وقدْ ذَكَرْنَا في أوَّلِ الْكِتَابِ جُمْلَةَ مَقَالَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ التي أَجْمَعُوا عليها، كما حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ عنهم، ونحن نَحْكِي إجْمَاعَهم، كما حَكَاهُ حَرْبٌ - صَاحِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - عنهم بِلَفْظِهِ، في «مَسَائِلِهِ» الْمَشْهُورَةِ:

«هذا مَذْهَبُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وأَصْحَابِ الْأَثَرِ، وأَهْلِ السُّنَّةِ الْمُتَمَسِّكِين بها، الْمُقْتَدَىٰ بهم من لَدُنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إلىٰ يَوْمِنَا هذا، وأَدْرَكْتُ مَنْ أَدْرَكْتُ من عُلَمَاءِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمْ، فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا من هذه الْمَذَاهِبِ أو طَعَنَ فيها، أو عَابَ قَائِلَهَا، فهو مُخَالِفٌ مُبْتَدِعٌ خَارِجٌ عن الْجَمَاعَةِ، زَائِلٌ عن مَنْهَجِ السُّنَّةِ وَسَبِيلِ الْحَقِّ. قال: وهو مَذْهَبُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ مَخْلَدٍ، وعبدِاللهِ بنِ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيِّ، وسعيدِ بنِ مَنْصُورٍ، وغَيْرِهِمْ ممن جَالَسْنَا وأَخَذْنَا عنهم العِلْمَ، فكان من قَوْلِهِمْ:

* إنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ وَتَمَسُّكٌ بِالسُّنَّةِ.
* وَالإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.
* وَيُسْتَثْنَىٰ في الإِيمَانِ غَيْرَ أَلَّا يَكُونَ الِاسْتِثْنَاءُ شَكًّا، إنَّمَا هي سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ عند الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ: أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إنْ شَاءَ اللهُ، أَوْ مُؤْمِنٌ

أَرْجُو، أَوْ يَقُولُ: آمَنْتُ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه.

* ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بلا عَمَلٍ؛ فهو مُرْجِئٌ، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الإِيمَانَ هو القَولُ، والْأَعْمَالَ شَرَائِعُ؛ فهو مُرْجِئٌ، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ ولا يَنْقُصُ، فقد قال بقولِ الْمُرْجِئَةِ، ومَنْ لم يَرَ الِاسْتِثْنَاءَ فِي الإِيمَانِ؛ فهو مُرْجِئٌ، ومَنْ زَعَمَ أَنَّ إيمَانَهُ كإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ فهو مُرْجِئٌ. ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ تَقَعُ فِي الْقَلْبِ وإِنْ لم يَتَكَلَّمْ بِهَا؛ فهو مُرْجِئٌ.

* والْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، وقَلِيلُهُ وكَثِيرُهُ، وظَاهِرُهُ وبَاطِنُهُ، وحُلْوُهُ ومُرُّهُ، ومَحْبُوبُهُ ومَكْرُوهُهُ، وحَسَنُهُ وسَيِّئُهُ، وأَوَّلُهُ وآخِرُهُ = مِنْ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَضَاءٌ قَضَاهُ علىٰ عِبَادِهِ، وَقَدَرٌ قَدَّرَهُ عليهم، لا يَعْدُو أَحَدٌ منهم مَشِيَّةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ولا يُجَاوِزُهُ قَضَاؤُهُ، بل هم كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إلىٰ ما خَلَقَهُمْ له، وَاقِعُون فيما قُدِّرَ عَلَيْهِمْ، وهو عَدْلٌ منهُ جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ.

* والزِّنَىٰ والسَّرِقَةُ، وشُرْبُ الْخَمْرِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وأَكْلُ الْمَالِ الْحَرَامِ، والشِّرْكُ وَالْمَعَاصِي كُلُّهَا بِقَضَاءِ اللهِ وقَدْرٍ من اللهِ، من غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ من الْخَلْقِ علىٰ اللهِ حُجَّةٌ، بل لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ علىٰ خَلْقِهِ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

* وعِلْمُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَاضٍ في خَلْقِهِ بِمَشِيئَةٍ منه، قد عَلِمَ من إبْلِيسَ ومن غَيْرِهِ - مِمَّنْ عَصَاهُ من لَدُنْ عُصِيَ تبارك وتعالىٰ إلىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ - الْمَعْصِيَةَ وَخَلَقَهُمْ لها. وعَلِمَ الطَّاعَةَ من أَهْلِ الطَّاعَةِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، فَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ له، وَصَائِرٌ إلىٰ ما قُضِيَ عليه، لا يَعْدُو أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدَرَ اللهِ وَمَشِيئَتَهُ، واللهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ.

* ومَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَاء لِعِبَادِهِ الذين عَصَوْهُ الْخَيْرَ والطَّاعَةَ، وأَنَّ الْعِبَادَ شَاءُوا لأنفُسِهِمْ الشَّرَّ والْمَعْصِيَةَ، فَعَمِلُوا علىٰ مَشِيئَتِهِمْ = فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مَشِيئَةَ

الْعِبَادِ أَغْلَبُ من مَشِيئَةِ اللهِ تَبَارَكَ وتعالىٰ، وأَيُّ افْتِرَاءٍ أَكْبَرُ علىٰ اللهِ من هذا؟!.

* ومَنْ زَعَمَ أَنَّ الزِّنَىٰ لَيْسَ بِقَدَرٍ، قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ هذه الْمَرْأَةَ حَمَلَتْ من الزِّنَىٰ، وجَاءَتْ بِوَلَدٍ، هل شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُخْلَقَ هذا الْوَلَدُ، وهل مَضَىٰ في سَابِقِ عِلْمِهِ؟ فَإِنْ قال: لا، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مع اللهِ خَالِقًا، وهذا الشِّرْكُ صُرَاحًا.

* ومَنْ زَعَمَ أَنَّ السَّرِقَةَ، وشُرْبَ الْخَمْرِ، وأَكْلَ الْمَالِ الْحَرَامِ لَيْسَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ هذا الْإِنْسَانَ قَادِرٌ علىٰ أَنْ يَأْكُلَ رِزْقَ غَيْرِهِ، وهذا صُرَاحُ قَوْلِ الْمَجُوسِيَّةِ، بل أَكَلَ رِزْقَهُ الذي قَضَىٰ اللهُ أَنْ يَأْكُلَهُ من الوَجْهِ الذي أَكَلَهُ.

* وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ قَتْلَ النَّفْسِ لَيْسَ بِقَدَرٍ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْمَقْتُولَ مَاتَ بِغَيْرِ أَجَلِهِ، وأَيُّ كُفْرٍ أَوْضَحُ من هذا؟ بل ذلك بِقَضَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وذلك عَدْلٌ منه في خَلْقِهِ، وتَدْبِيرُهُ فيهم، وما جَرَىٰ من سَابِقِ عِلْمِهِ فيهم، وهو الْعَدْلُ الْحَقُّ الذي يَفْعَلُ ما يُرِيدُ.

* وَمَنْ أَقَرَّ بِالْعِلْمِ لَزِمَهُ الْإِقْرَارُ بِالْقَدَرِ وَالْمَشِيئَةِ علىٰ الصِّغَرِ وَالْقَمَاءةِ.

* ولا نَشْهَدُ علىٰ أَحَدٍ من أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَنَّهُ في النَّارِ لِذَنْبٍ عَمِلَهُ، ولا لِكَبِيرَةٍ أَتَاهَا، إلا أَنْ يَكُونَ ذلك في حَدِيثٍ، فَيُرْوىٰ الْحَدِيثُ كما جاءَ، ولا نَنُصُّ الشَّهَادَةَ، ولا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ في الْجَنَّةِ بِصَالِحِ عَمَلِهِ، ولا بِخَيْرٍ أَتَاه، إلا أَنْ يَكُونَ في ذلك حَدِيثٌ، فيُرْوَىٰ الْحَدِيثُ كما جاءَ علىٰ ما رُوِيَ، ولا نَنُصُّ الشَّهَادَةَ.

* والْخِلَافَةُ في قُرَيْشٍ ما بَقِيَ من النَّاسِ اثْنَانِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ من النَّاسِ أَنْ يُنَازِعَهُمْ فيها، ولا يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ، ولا يُقَرُّ لِغَيْرِهِمْ بِهَا إلىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

* والْجِهَادُ مَاضٍ قَائِمٌ مع الْأَئِمَّةِ بَرُّوا أَوْ فَجَرَوْا، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ.

* والْجُمُعَةُ والْعِيدَيْنِ وَالْحَجُّ مع السُّلْطَانِ، وإِنْ لم يَكُونُوا بَرَرَةً عُدُولًا أَتْقِيَاءَ.

* ودَفْعُ الصَّدَقَاتِ والْخَرَاجِ والْأَعْشَارِ والْفَيْءِ والْغَنَائِمِ إليهم عَدَلُوا فيها أَوْ جَارُوا.

* والِانْقِيَادُ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَكُمْ، لَا نَنْزِعُ يَدًا من طَاعَتِهِ، ولا تَخْرُجُ عليه بِسَيْفٍ، حتىٰ يَجْعَلَ اللهُ لك فَرَجًا ومَخْرَجًا، ولا نَخْرُجُ علىٰ السُّلْطَانِ، ونَسْمَعُ ونُطِيعُ، ولا نَنْكُثُ بَيْعَتَهُ، فَمَنْ فَعَلَ ذلك فهو مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ.

* وَإِنْ أَمَرَكَ السُّلْطَانُ بِأَمْرٍ هو لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ، فليس لك أَنْ تُطِيعَهُ أَلْبَتَّةَ، وليس لك أَنْ تَخْرُجَ عليه، ولا تَمْنَعُهُ حَقَّهُ.

* وَالْإِمْسَاكُ فِي الْفِتْنَةِ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ وَاجِبٌ لُزُومُهَا، فَإِنْ أُبْتُلِيتَ فَقَدِّمْ نَفْسَك دُونَ دِينِك، ولا تُعِنْ علىٰ الْفِتْنَةِ بِيَدٍ ولا لِسَانٍ، ولكن أُكْفُفْ يَدَك ولسَانَك وَهَوَاك، واللهُ الْمُعِينُ.

* والْكَفُّ عن أَهْلِ الْقِبْلَةِ؛ فلا نُكَفِّرُ أَحَدًا منهم بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ من الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ؛ إلَّا أَنْ يَكُونَ فِي ذلك حَدِيثٌ فَيُرْوَىٰ الْحَدِيثُ كما جَاءَ، وكما رُوِيَ، فَنُصَدِّقُهُ وَنَقْبَلُهُ وَنَعْلَمُ أَنَّهُ كما رُوِيَ، نَحْوُ: تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وما أَشْبَهَ ذلك، أو يَبْتَدِعَ بِدْعَةً يُنْسَبُ صَاحِبُهَا إلىٰ الْكُفْرِ، والْخُرُوجِ من الْإِسْلَامِ. فَاتَّبِعْ ذلك ولا تُجَاوِزْهُ.

* والْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ خَارِجٌ لا شَكَّ فِي ذلك ولا ارْتِيَابَ، وهو أَكْذَبُ الْكَاذِبِين.

* وعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ، يُسْأَلُ الْعَبْدُ عن دَيْنِهِ، وعن نَبِيِّهِ، وعن رَبِّهِ، وعن الْجَنَّةِ وعن النَّارِ.

* ومُنْكَرٌ ونَكِيرٌ حَقٌّ، وهُمَا فَتَّانَا الْقَبْرِ. نَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ.

* وحَوْضُ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ، حَوْضٌ تَرِدُهُ أُمَّتُهُ، وله آنِيَةٌ يَشْرَبُونَ بها منه.

* والصِّرَاطُ حَقٌّ، يُوضَعُ علىٰ سَوَاءِ جَهَنَّمَ، وَيَمُرُّ النَّاسُ عليه، وَالْجَنَّةُ مِنْ وَرَاءِ ذلك.

* والْمِيزَانُ حَقٌّ، تُوزَنُ به الْحَسَنَاتُ والسَّيِّئَاتُ، كما شَاءَ اللهُ أَنْ تُوزَنَ.

* والصُّورُ حَقٌّ، يَنْفُخُ فيه إسْرَافِيلُ فَيَمُوتُ الْخَلْقُ، ثم يَنْفُخُ فيه الأخرىٰ فَيَقُومُون لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْحِسَابِ، وفَصْلِ الْقَضَاءِ، والثَّوَابِ والْعِقَابِ، والْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

* واللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ حَقٌّ، يُسْتَنْسَخُ منه أَعْمَالُ الْعِبَادِ، لِمَا سَبَقَ فيه من الْمَقَادِيرِ وَالْقَضَاءِ.

* والْقَلَمُ حَقٌّ كَتَبَ اللهُ به مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ، وأَحْصَاهُ في الذِّكْرِ.

* وَالشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، يَشْفَعُ قَوْمٌ في قَوْمٍ، فلا يَصِيرُونَ إلىٰ النَّارِ، ويَخْرُجُ قَوْمٌ من النَّارِ بعد ما دَخَلُوهَا ولَبِثُوا فيها ما شَاءَ اللهُ، ثم يُخْرِجُهُمْ من النَّارِ، وَقَوْمٌ يُخَلَّدُونَ فيها أبدًا، وهم أَهْلُ الشِّرْكِ والتَّكْذِيبِ، والْجُحُودِ والْكُفْرِ باللهِ عَزَّوَجَلَّ.

* ويُذْبَحُ الْمَوْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْجَنَّةِ والنَّارِ، وقد خُلِقَت الْجَنَّةُ وما فيها، وخُلِقَت النَّارُ وما فيها، خَلَقَهُمَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وخَلَقَ الْخَلْقَ لهما، ولا يَفْنيَانِ ولا يَفْنَىٰ ما فيهما أبدًا.

* فَإِنْ احْتَجَّ مُبْتَدِعٌ أَوْ زِنْدِيقٌ بقولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وَبِنَحْوِ هذا من مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ.

قِيلَ لَهُ: كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ وَالْهَلَاكُ هَالِكٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ خَلَقَهُمَا لِلْبَقَاءِ لا لِلْفَنَاءِ، ولا لِلْهَلَاكِ، وهما من الْآخِرَةِ لا من الدُّنْيَا.

* والْحُورُ الْعِينُ لا يَمُتْنَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، ولا عِنْدَ النَّفْخَةِ، ولا أبدًا؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَهُنَّ لِلْبَقَاءِ لا لِلْفَنَاءِ، ولم يَكْتُبْ عَلَيْهِنَّ الْمَوْتَ.

فَمَنْ قَالَ خِلَافَ هذا فهو مُبْتَدِعٌ ضَلَّ عن سَوَاءِ السَّبِيلِ.

* وخَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَسَبْعَ أَرَضِينَ بَعْضِهَا أَسْفَلَ من بَعْضٍ، وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْعُلْيَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عامٍ، والْمَاءُ فَوْقَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا السَّابِعَةِ، وَعَرْشُ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ فَوْقَ الْمَاءِ، واَللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ الْعَرْشِ، وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، وهو يَعْلَمُ ما في السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِينَ السَّبْعِ وما بينهما، وما تَحْتَ الثَّرَىٰ، وما في قَعْرِ الْبَحْرِ، ومَنْبَتَ كلِّ شَعْرَةٍ وشَجَرَةٍ، وكلَّ زَرْعٍ وكلَّ نَبَاتٍ، ومَسْقَطَ كلِّ وَرَقَةٍ، وعَدَدَ كلِّ كَلِمَةٍ، وعَدَدَ الرَّمْلِ والْحَصَىٰ والتُّرَابِ، ومَثَاقِيلَ الْجِبَالِ، وأَعْمَالَ الْعِبَادِ وآثَارَهُمْ، وكلامَهُمْ وأَنفَاسَهمْ، ويَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، لا يَخْفَىٰ عليه من ذلك شَيْءٌ.

* وهو علىٰ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ودُونَه حُجُبٌ من نَارٍ وَنُورٍ وظُلْمَةٍ، وما هو أَعْلَمُ به.

* فَإِنْ احْتَجَّ مُبْتَدِعٌ ومُخَالِفٌ بِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة:٧]، ونَحْوِ هذا من مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ.

فَقُلْ: إِنَّمَا يَعْنِي بذلك العِلْمَ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ علىٰ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، يَعْلَمُ ذلك كُلَّهُ، وهو بَائِنٌ من خَلْقِهِ، لا يَخْلُو من عِلْمِهِ مَكَانٌ.

* وَلِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَرْشٌ، وَلِلْعرشِ حَمَلَةٌ يَحْمِلُونَه، وَاَللهُ عَزَّوَجَلَّ علىٰ عَرْشِهِ، وَلَه حَدٌّ.

* وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ سَمِيعٌ لا يَشُكُّ، بَصِيرٌ لا يَرْتَابُ، عَلِيمٌ لا يَجْهَلُ، جَوَادٌ لا يَبْخَلُ، حَلِيمٌ لا يَعْجَلُ، حَفِيظٌ لا يَنْسَىٰ ولا يَسْهُو، قَرِيبٌ لا يَغْفَلُ، ويَتَكَلَّمُ، وَيَنْظُرُ، وَيَبْسُطُ، ويَضْحَكُ، وَيَفْرَحُ.

* ويُحِبُّ ويَكْرَهُ ويُبْغِضُ، ويَرْضَىٰ ويَغْضَبُ، ويَسْخَطُ ويَرْحَمُ، ويَعْفُو ويَغْفِرُ، ويُعْطِي ويَمْنَعُ، ويَنْزِلُ كلَّ لَيْلَةٍ إلىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَشَاءُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، وقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ من أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، ويُوعِيها ما أَرَادَ، وخَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ علىٰ صُورَتِهِ، والسَّمَاوَاتُ والْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي كَفِّهِ، ويَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ فَتَنْزَوِي، ويُخْرِجُ قَوْمًا من النَّارِ بِيَدِه، ويَنْظُرُ إلىٰ وَجْهِهِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَيَرَوْنَه فَيُكْرِمُهُمْ وَيَتَجَلَّىٰ لهم، ويُعْرَضُ عليه الْعِبَادُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَتَوَلَّىٰ حِسَابَهُمْ بِنَفْسِهِ، لا يَلِي ذلك غَيْرُهُ عَزَّوَجَلَّ.

* والْقُرْآنُ كلامُ اللهِ تَكَلَّمَ به ليس بِمَخْلُوقٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فهو جَهْمِيٌّ كَافِرٌ، ومن زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ كلامُ اللهِ وَوَقَف، فلم يَقُلْ: ليس بِمَخْلُوقٍ، فهو أَخْبَثُ من الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، ومن زَعَمَ أَنَّ أَلْفَاظَنَا وتِلاوَتَنَا له مَخْلُوقَةٌ وَالْقُرْآنُ كلامُ اللهِ فهو جَهْمِيٌّ.

* وكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا: منه إليه، ونَاوَلَه التَّوْرَاةَ من يَدِهِ إلىٰ يَدِهِ، ولم يَزَلْ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُتكَلِّمًا.

* وَالرُّؤْيَا من اللهِ، وهي حَقٌّ إذا رَأَىٰ صَاحِبُهَا فِي مَنَامِهِ مِمَّا ليس ضِغْثًا، فَقَصَّهَا علىٰ عَالِمٍ وَصَدَقَ فيها، وَأَوَّلَهَا الْعَالِمُ علىٰ أَصْلِ تَأْوِيلِهَا الصَّحِيح ولم يُحَرِّفْ، فَالرُّؤْيَا تَأْوِيلُهَا حِينَئِذٍ حَقٌّ، وقد كَانَتْ الرُّؤْيَا من الْأَنْبِيَاءِ وَحْيًا، فَأَيُّ جَاهِلٍ أَجْهَلُ مِمَّنْ يَطْعَنُ فِي الرُّؤْيَا، وَيَزْعُمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ؟ وبَلَغَنِي أَنَّ مَنْ قَالَ هذا الْقَوْلَ لا يَرَىٰ الِاغْتِسَالَ من الِاحْتِلَامِ، وقد رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ كَلَامٌ يُكَلِّمُ**

به الرَّبُّ عَبْدَهُ». وقَالَ: «إنَّ الرُّؤْيَا من اللهِ».

* وذِكْرُ مَحَاسِنِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْكَفُّ عن ذِكْرِ مُسَاوِيهِمْ التي شَجَرَت بينهم.

* فَمَنْ سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَوْ وَاحِدًا منهم أَوْ تَنَقَّصَهُ أَوْ طَعَنَ عليهم، أَوْ عَرَّضَ بِعَيْبِهِمْ، أَوْ عَابَ أَحَدًا منهم، فهو مُبْتَدِعٌ رَافِضِيٌّ خَبِيثٌ مُخَالِفٌ، لَا يَقْبَلُ اللهُ منه صَرْفًا ولا عَدْلًا، بل حُبُّهُمْ سُنَّةٌ، والدُّعَاءُ لهم قُرْبَةٌ، والِاقْتِدَاءُ بهم وَسِيلَةٌ، والْأَخْذُ بِآثَارِهِمْ فَضِيلَةٌ.

* وخَيْرُ الْأُمَّةِ بعد النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وعُمَرَ بعد أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعُثْمَانُ بعد عُمَرَ، وعَلِيٌّ بعد عُثْمَانَ، وَوَقَفَ قَوْمٌ علىٰ عُثْمَانَ، وهم خُلَفَاءُ رَاشِدُون مَهْدِيُّون، ثم أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بعد هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ خَيْرُ النَّاسِ، لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا من مَسَاوِيهِمْ، ولا يَطْعَنُ علىٰ أَحَدٍ منهم بِعَيْبٍ ولا نَقْصٍ، فَمَنْ فَعَلَ ذلك فقد وَجَبَ علىٰ السُّلْطَانِ تَأْدِيبُهُ وَعُقُوبَتُهُ، ليس له أَنْ يَعْفُوَ عنه، بل يُعَاقِبُه ويَسْتَتِيبُهُ، فإنْ تَابَ قَبِلَ منه، وَإِنْ لم يَتُبْ أَعَادَ عليه الْعُقُوبَةَ، وَخَلَّدَهُ الْحَبْسَ، حتىٰ يَمُوتَ أَوْ يُرَاجِع.

* ونَعْرِفُ لِلْعَرَبِ حَقَّهَا، وفَضْلَهَا وسَابِقَتَهَا، ونُحِبُّهُمْ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ «فَإِنَّ حُبَّهُمْ إِيمَانٌ، وَبُغْضَهُمْ نِفَاقٌ»، ولا نَقُولُ بِقَوْلِ الشُّعُوبيةِ وأَرَاذِلِ الْمَوَالِي الذين لا يُحِبُّونَ الْعَرَبَ، ولا يُقِرُّونَ لهم بِفَضْلٍ، فَإِنَّ قَوْلَهُمْ: بِدْعَةٌ.

* وَمَنْ حَرَّمَ الْمَكَاسِبَ وَالتِّجَارَاتِ وطِيبَ الْمَالِ مِنْ وَجْهِهِ؛ فَقَدْ جَهِلَ وأَخْطَأَ وخَالَفَ، بل الْمَكَاسِبُ من وَجْهِهَا حَلَالٌ، وقد أَحَلَّهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَالرَّجُلُ يَنْبَغِي له أَنْ يَسْعَىٰ علىٰ نَفْسِهِ وعِيَالِهِ من فَضْلِ رَبِّهِ، فَإِنْ تَرَكَ ذلك علىٰ أَنَّهُ لا يَرَىٰ الْكَسْبَ فهو مُخَالِفٌ.

* والدِّينُ إنَّمَا هو كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وآثَارٌ وسُنَنٌ وَرِوَايَاتٌ صِحَاحٌ عن الثِّقَاتِ بالْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الْقَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ، يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا حتىٰ يَنْتَهِي ذلك إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأَصْحَابهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ من الْأَئِمَّةِ الْمَعْرُوفِين الْمُقْتَدَىٰ بهم، الْمُتَمَسِّكِين بِالسُّنَّةِ، وَالْمُتَعَلِّقِينِ بِالآثَارِ، لا يُعْرَفُونَ بِبِدْعَةٍ، ولا يُطْعَنُ فيهم بِكَذِبٍ، ولا يُرْمَوْنَ بِخِلَافٍ.

إلىٰ أَنْ قَالَ: فهذه الْأَقَاوِيلُ التي وَصَفْتُ مَذَاهِبُ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ والْأَثَرِ، وأَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ وَحَمَلَةِ الْعِلْمِ، الذين أَدْرَكْنَاهُمْ، وأَخَذْنَا عنهم الْحَدِيثَ، وَتَعَلَّمْنَا منهم السُّنَنَ، وكانوا أَئِمَّةً مَعْرُوفِين، ثِقَاتٍ أَهْلَ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ يُقْتَدَىٰ بهم، وَيُؤْخَذُ عنهم، ولم يكونوا أَصْحَابَ بِدَعٍ ولا خِلَافٍ، ولا تَخْلِيطٍ، وهو قَوْلُ أَئِمَّتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ الذين كانوا قَبْلَهُمْ، فَتَمَسَّكُوا بذلك، وَتَعَلَّمُوه وَعَلِّمُوه».

قُلْتُ: حَرْبٌ هذا هو صَاحِبُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وله عنهما مَسَائِلُ جَلِيلَةٌ، وأَخَذَ عن سَعِيدِ بنِ مَنْصُورٍ، وعبدالله بنِ الزُّبَيْرِ الْحُمَيْدِيِّ، وهذه الطَّبَقَةِ، وقد حَكَىٰ هذه الْمَذَاهِبَ عنهم وَاتِّفَاقَهُمْ عليها، وَمَنْ تَأَمَّلَ الْمَنْقُولَ عن هَؤُلَاءِ وَأَضْعَافِ أَضْعَافِهِمْ من أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ، وَجَدَه مُطَابِقًا لِمَا نَقَلَهُ حَرْبٌ، وَلَوْ تَتَبَّعْنَاه لَكَان بِقَدْرِ هذا الْكِتَابِ مِرَارًا، وقد جَمَعْنَا منه في مَسْأَلَةِ عُلُوِّ الرَّبِّ تَعَالَىٰ علىٰ خَلْقِهِ واسْتِوَائِهِ علىٰ عَرْشِهِ وَحْدَهَا سِفْرًا مُتَوَسِّطًا، فهذا مَذْهَبُ الْمُسْتَحِقِّين لهذه الْبُشْرَىٰ قَوْلًا وعَمَلًا واعْتِقَادًا. وبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

فصل: [الخاتمة]

ونختم هذا الكتاب بما ابتدأنا به أولًا، وهو خاتمة دعوىٰ أهل الجنة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس:٩-١٠].

فهرس الموضوعات



محتويات الحقيبة

1. مختصر الداء والدواء
2. مختصر الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب
3. مختصر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح
4. مختارات من كتاب الصلاة
5. مختصر الفوائد
6. مختصر عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين
7. مختصر إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان
8. خلاصة مدارج السالكين في منازل السائرين
9. مختصر طريق الهجرتين وباب السعادتين
10. مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد
11. مختصر جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ
12. مختصر تحفة المودود بأحكام المولود
13. مختصر التبيان في أيمان القرآن
14. مختصر مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة
15. مختصر روضة المحبين ونزهة المشتاقين
16. مختارات من بدائع الفوائد
17. مختصر كتاب الروح
18. ثلاث رسائل لابن القيم

مشروع مختصرات
كُتُب السَّلف
وقفُ من المختصِر
لهُ ولوالدَيه وزوْجَته وذُرِّيَّته

للطباعة لدُور النشر
والجهات المانحة
مطابع الفسطاط-واتساب:
00201222560045